كتاب

المخزون في تسلية المحزون

لامام من متقدمي أئمة الأدب • المتمسكين
من أسباب العلوم والمعارف بأقوى
سبب • نور الله بأنوار الرحمات
ضريحه • وأسكنه في معاهد
الرضوان الغرف
الفسيحة
آمين

(قال في كشف الظنون مانصه)

المخزون في تسلية المحزون • ذكره السخاوي في ارتياح الاكباد اه ومن تأمل هذا الكتاب العزيز المثال • العديم المثال • علم انه كتاب وافق أسمه مسماه • رق لفظه وراق معناه • ولهذا قد اعتنى بطبعه • رغبة في نشره لتعميم نفعه • حضرة الاستاذ الفاضل الشيخ محمد العتر أحد أفاضل دمياط فجزاه الله أحسن الجزاء عن سعيه المشكور ووفقه لاحراز الفضائل وأدام له السرور

(الطبعة الاولى)

سنة ١٣٢١ هـ — ١٩٠٣

مطبعة النيل بشارع باب الخلق بجوار الكتبخانه بمصر

كتاب

﴿المخزون، في تسلية المحزون﴾

لامام من متقدمي أئمة الأدب ، المتمسكين
من أسباب العلوم والمعارف بأقوى
سبب ، نور الله بأنوار الرحمات
ضريحه ، وأسكنه في معاهد
الرضوان الغرف
الفسيحة
آمين

﴿ قال في كشف الظنون مانصه ﴾

المخزون في تسلية المحزون ، ذكره السخاوي في ارتياح الاكباد اه ومن تأمل هذا الكتاب العزيز المنال ، العديم المثال ، علم انه كتاب وافق اسمه مسماه ، رق لفظه وراق معناه ، ولهذا قد اعتنى بطبعه ، رغبة في نشره لتعميم نفعه ، حضرة الاستاذ الفاضل الشيخ محمد العتر أحد أفاضل دمياط فجزاه الله أحسن الجزاء عن سعيه المشكور ووفقه لاحراز الفضائل وأدام له السرور

﴿ الطبعة الاولى ﴾
سنة ١٣٢١ هـ — ١٩٠٣ م

﴿ مطبعة النيل بشارع باب الخلق بجوار الكتبخانه بمصر ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

(الحمد لله) الباقي على الدوام . المنان بفضله على جميع الأنام (والصلاة والسلام) على أشرف خلقه محمد سيد الأنام . وعلى آله وأصحابه البررة الكرام ﴿ وبعد ﴾ فهذا كتاب جمعت فيه من رقائق الأذكار . ومن مهمات الوعظ والتذكار . جعلته تبصرة للغافلين . وعظة للسامعين . ومنهلا للعارفين . وتذكاراً لمن أنقذه الله من سنة الغفلة . وأيقظه من غفلات المهلة . فرأى الدنيا بعين العبر أن مآلها للزوال . وبقاءها مصور بالمحال . وأن الصفو فيها كدر . وتقلبها عين العبر ﴿ وسميته المخزون . في تسلية المحزون ﴾ ورتبته على ستة وأربعين بابا من أعجب العجاب . وضمنته من المواعظ والآثار ما تقر به عين أولي الالباب . فأقول وبالله المستعان . وعليه التكلان

﴿ الباب الاول ﴾

﴿ فيمن رغب فى جمع المال . فظن أن الدنيا ليس لها زوال ﴾

قال الله تعالى (المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا) فاخبر تعالى أن المال وان كان فيه زينة للانسان . فجمعه مع الحرص عليه والشح به نوع من الخسران . وأن العمل

الصالح أحب الى الله تعالى من شئ زائل . وأنجح الى المولى سبحانه من ظل مائل . وقد ذم الله تعالى من جمع المال . وطمع فى جمعه بزيادة الآمال . ولم يصرفه في وجوه الخير والصلاح . ولم يرد به الفوز والنجاح . فقال في حق الوليد (انه فكر وقدر) (وجمع فأوعى) وذكر السعير فقال (ويصلى سعيراً انه كان في أهله مسروراً) وقد علم أن السرور لصاحب النعمة دون الفقير . وذكر سقر فقال (ذرني ومن خلقت وحيداً وجعلت له مالا ممدوداً وبنين شهودا) الى قوله (سأصليه سقر) وذكر الجحيم فقال (وأما من طغي وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هي المأوي) قال بعضهم سمعت ابراهيم الواعظ الحافظ يقول في قوله تعالى (فلما نسوا ماذكروا به) بالاعراض والغفلة (فتحنا عليهم أبواب كل شئ) بالدنيا والنعمة (حتى اذا فرحوا بما أوتوا) بارتكاب المعصية (أخذناهم بغتة) بالسخطة واللعنة (فاذاهم مبلسون) بالهجران والقطيعة وقال تعالى (انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء) قيل انها شبهت بالماء لانه ينزل قطرة قطرة ويذهب جملة ولانه مادام الماء يجد هبوطاً لايستقر فى صعود . وما دام المال يجد بخيلا لايستقر مع سخيّ (وقال ابو تمام الطائي)

لاتنكري عطل الكريم من الغنى * فالسيل حرب للمكان العالي

وان الماء لايجد القرار فيه . وفي كثرة الماء مضرة وفي أقله كفاية ولانه لايميز بين اللئيم والكريم ولانه لايمكن رد الماء الي السماء كذلك لايمكن رد الرزق من أحد والماء اذا مكث أنتن وبالماء يبين الريحان من غيره . والماء ينزل من فوق كذلك ينزل الرزق . والماء ينزل في موضع دون موضع ﴿ مسئلة ﴾ (فان قيل) قال الله تعالى (كتب عليكم اذا حضر أحدكم الموت ان ترك خيرا الوصية) فسمى المال خيراً (فالجواب) أنه ليس كل ذكر خير لمحمود ألا ترى قوله تعالى (ورد الله الذين كفروا بغيظهم

لم ينالوا خيراً) (٣)وأما(ووجدك عائلا فأغنى) يعنى أرضاك بما أعطاك وقيل فقيراً عن الاصحاب فأغناك بهم وقوله عليه الصلاة والسلام(كاد الفقر أن يكون كفراً)المراد به كاد الفقر الى غير الله ومعاذ الله أنه أراد به الزهد في الدنيا فقد ندب الله تعالى اليه ، وحث المصطفى صلى الله عليه وسلم عليه *والذي يدل على أن الغنى المحمود غنى القلب خبر (حدثنا) محمد بن الحسين قال حدثنا محمد بن يزيد العدل حدثنا زكريا بن يحيي حدثنا محمد بن اسماعيل حدثنا عبد الله بن صالح عن عبدالرحمن بن جبير عن أبيه عن أبي ذر رضي الله عنه واسمه جندب ابن جنادة الغفاري وقيل جندب بن السكن قال قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أترى أن كثرة الاعراض هو الغني قلت نعم قال وترى أن قلة المال هو الفقر قلت نعم قال ليس كذلك قال انما الغني غنى القلب والفقر فقر القلب (وعن) عطاء عن بلال قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم الق الله فقيراً ولا تلقه غنيا قال قلت كيف لى بذلك يارسول الله قال هو ذلك والا فالنار (وعن) ثوبان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تبا للذهب والفضة يقولها ثلاث مرات فقال عمر يارسول الله أي المال نتخذ قال لسانا ذاكراً وقلباً شاكراً وزوجة مؤمنة (وعن) انس بن مالك رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مامن عبد أولى في الدنيا غني الا ود يوم القيامه أن كان أوتي قوتا (وعن) أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال لما نزلت هذه الآية(من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسنا) قال فجعل يجيء أغنياء المهاجرين بألف وألفين وجعل يجيء صعاليك المسلمين بصاع وصاعين فلما رأوا أصحاب الاموال جاؤا بها قالوا يارسول الله سبقنا الاغنياء بالجنة قال نبي الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك ويل للاغنياء المكثرين الا من قال بالمال هكذا عن يمينه وهكذا عن شماله وهكذا من بين يديه وهكذا من خلفه ان صعاليك المؤمنين يدخلون الجنة قبل

أغنيائهم بخمسمائة عام. وقال صلى الله عليه وسلم ان فقراء أمتي يدخلون الجنة قبل الاغنياء بنصف يوم وذلك خمسمائة عام فقال رجل منهم أنا منهم يارسول الله قال ان تغديت هل رجعت الى عشاء أو تعشيت يبيت معك غداء قال نعم قال لست منهم فقام رجل فقال أمنهم أنا يارسول الله قال هل سمعت ماقلنا لهذا قال نعم قال تجد ثوبا سوى ماعليك قال نعم فقال لست منهم فقام رجل آخر فقال أمنهم أنا يارسول الله قال هل سمعت ماقلت لهذين قال نعم قال هل تجد قرضاً كلما شئت أن تستقرض قال نعم قال لست منهم فقام آخر فقال أنا منهم يارسول الله قال هل سمعت ماقلنا لهؤلاء قبلك قال نعم قال هل تقدر أن تكسب مايعيشك قال نعم قال فلست منهم فقال خامس أمنهم أنا يانبي الله قال هل سمعت ماقلنا لهؤلاء فقال نعم قال هل تمسي عن ربك راضيا وتصبح راضياً قال نعم قال فأنت منهم ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان سراة المؤمنين في الجنة الذي اذا تغدى لم يجد عشاء واذا تعشى لم يبت له غداء وان استقرض لم يجد قرضاً وليس له فضل كسوة الا مايواريه مالا يجد بدا ولا يقدر على ان يكتسب مايعيشه يمسى عن الله راضيا ويصبح راضياً أولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين. (وعن) ابي أمامة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أريت اني دخلت الجنة فنظرت واذا أعلى أهل الجنة فقراء المهاجرين وذراري المؤمنين ليس فيها احد أقل من الاغنياء والنساء فقيل لى أما الاغنياء فانهم على الباب يحاسبون ويمحصون وأما النساء فأهلكهن الاحمران الذهب والحرير ثم خرجت من احد الثمانية من الابواب فجعلوا يعرضون على امتي رجلا رجلا فاستطلبت عبد الرحمن بن عوف فلم أره الا بعد يأس فلما رآني بكى فقلت عبد الرحمن مايبكيك قال والذي بعثك بالحق مارأيتك حتى ظننت اني لاأراك ابداً قلت ومم ذلك قال من كثرة مالى

مازلت أحاسب بعدك وأمحص . (وعن) انس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحشر يوم القيمة اقوام لهم من الحسنات كامثال جبال تهامة فيؤمر بهم الى النار قات يارسول الله أيصلون فقال كانوا يصلون ويصومون ويأخذون هدأ من الليل فاذا أرادوا شيئاً من الدنيا وثبوا عليه

الباب الثاني

(الزهد في الدنيا سنة كل عالم لبيب . والامر بتركها عظة كل ناصح أريب)

(عن) أبان عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاء بالدنيا في صورة قبيحة فتقول يارب أنا الدنيا فاجعلني اليوم لادنى أهل الجنة منزلا قال فيقول الله عز وجل لها أنت أقل من ذلك أنت أحقر من ذلك أنت وأهلك في النار . (وعنه) صلى الله عليه وسلم من أخذ من الدنيا حلالا حاسبه الله به ومن أخذ من الدنيا من الحرام عذبه الله أفّ للدنيا وما فيها من البليات حلالها حساب وحرامها عذاب . (وعنه) صلى الله عليه وسلم من بكى على الجنة أدخله الله الجنة ومن بكى على الدنيا أدخله الله النار وما خلق الله خلقا أبغض عليه من الدنيا وما نظر الله الى الدنيا منذ خلقها بغضاً لها . (وعن) الحسن البصري رضي الله عنه أنه قال مامثل الدنيا من أولها الى آخرها الا كمثل رجل نائم فرأى مايعجبه ثم استيقظ فلم ير شيأ . (وعن) وهب بن منبه رضي الله عنه قال قرأت في الحكمة ياابن آدم لو آتيتك الدنيا كلها وكانت لك لم يكن لك فيها الا قوتك فقد آتيتك قوتك منها ومالم أوتك جعلت حسابه على غيرك (قال) وسمعت شيخي يقول يامن جمع المال لورثته . وأقر على نفسه بتبعته . كن أولى الناس بنفعه . كما كنت أولى الناس بجمعه . (وقال) علي بن أبي طالب رضي الله عنه سمعت أن أناساً يقولون اذا كان قوت على هذا فقد

أقعده عن مبارزة الاقران ومفاخرة الشجعان (وعن)حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال كتب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه الى سهل بن حنيف (أما بعد) يا ابن حنيف فقد بلغني أن رجلا من قطان البصرة دعاك الى مأدبة فاسرعت . وكرر عليك الجفان فكرعت . وأكلت أكل يتيم نهم . ووضيع شهم . وما خلتك تأكل طعام قوم عائلهم مجفو . وغنيهم مدعو . واعلم أن امامكم قد اكتفى من دنياكم بطمريه . يسد فورة جوعه بقرصيه . ولا يعلم الفلذة في حوليه . الا في سنة أضحيته . وان تقدروا على ذلك فأعينوني بورع واجتهاد فوالله ماا كثرت من دنياكم تبرا . ولا ادخرت من أقطارها شبرا . ولا أقتات منها الا كقوت أتان دبرة . ولهي في عيني أهون من عفص مقرة . اليك عني يا دنياي فحبلك على غاربك قد بتتك ثلاثا لا رجعة لي فيك والله لو أعطيت الاقاليم السبعة على أن أظلم نملة في ورقة تلوكها في فمها ما فعلت ولقد جاءني عقيل يشكو اليّ سغب أراعيل . يستمنحني صاعا من بركم أو صاعا من شعيركم . فأحميت حديدة ثم أصغيتها الى بدنه فانّ أنين الدنف الهائم فقلت ثكلتك الثواكل أتئن من حديدة أحماها انسان لمدعبه . (٣) وتجترئ الى نار سجرها الرحمن لمبغضيه . ولقد سمعت اناسا يقولون اذا كان قوت عليّ هذا فقد أقعده ذلك عن مبارزة الاقران . ومناجزة الشجعان . أما سمعوا الله تعالى يقول (فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا) الآية والله ماقلعت باب خيبر بقوة جسدانية . ولا بحركة غذائية . لكني أيدت بقوة ملكوتية . ونفس بنور ربها مضية . وأنا من أحمد صلوات الله وسلامه عليه كالضوء من الضوء . ولقد رقعت مدرعتي هذه حتى استحييت من راقعها فقال لي ألقها فذو الاتن لا يرضاها لبراذعها . فقلت له اغرب عني . عند الصباح يحمد القوم السرى . وتنجلي عنهم غيابات الكرى . والخبر

الى آخره .

وماالدنيا وزبرجها سوي ما * تراه في الهواء من الهباء

فلا تركن لما أوتيت منها * ودعه فالمصير الى الفناء

(وذم المال يوما فى مجلس يحي بن معاذ) فقال بعض الاغنياء هذا عثمان قد جمع المال فقال انظر أن لا يكون طلبك للمال طلب عثمان . وفعلك فيه فعل الشيطان (وقال مالك بن دينار) ياطالب الدنيا دنا فراقها . فتزويجها أسرع من طلاقها . ومن يخطبها فدينه صداقها . الدنيا رواحل . وانفاسها رواحل . وأيامها مراحل (وعن الحسن البصري) انه كثيراً ما كان يقول يامعشر الشباب عليكم بالآخرة فاطلبوها فكثيراً مارأينا من طلب الآخرة فادرك الآخرة مع الدنيا وما رأينا أحدا طلب الدنيا فادرك الآخرة مع الدنيا

الدهر يبلى وآمال الفتى جدد * يزيد آماله والدهر يفنيها

ليل وصبح وآجال مقدرة * تمضي ونمضى وتطوينا ونطويها

(قال وجدت بخطي عن بعضهم) قال دخلت على النظام وفى يده قدح دواء وهو يتفكر في شربه فلما بصر بي قال اصبحت في دار البليات . أدفع آفات بآفات (وعن كعب الاحبار) قال وجدت مكتوبا في التوراة ياابن آدم كم من عين ساهرة من أجل عين نائمة وكم من قائم لقاعد يجمع رزقه وليس له فيه الا الحساب . ياابن آدم لاتحزن على مافاتك من الدنيا ولا تفرح بما آتيتك من الدنيا فان الدنيا اليوم لك وغدا لغيرك . ياابن آدم أنت في طلب الدنيا والآخرة في طلبك . وأنت في طلب الحياة والموت في طلبك . ياابن آدم لو تركت الدنيا لاحد من عبادي لتركتها لانبيائي . ليدعوا عبادي الى طاعتي واقامة أمري (وقيل) لعبد الله بن المبارك ماالتواضع قال التكبر مع الاغنياء

﴿ الباب الثالث ﴾

﴿ مامدح من الدنيا حكيم ولا عاقل الا للتزود منها لاجل الآجل ﴾

(عن) رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لاتسبوا الدنيا فنعم مطية المؤمن هي بها يبلغ الخير وبها ينجو من الشر (وعنه) صلى الله عليه وسلم لاخير فيمن لايحب المال ليصل به رحمه ويؤدي به أمانته ويستغنى به عن خلق ربه (وعن) عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياعمرو(٣) نعم المال الصالح للرجل الصالح وعنه صلى الله عليه وسلم من طلب الدنيا حلالا استعفافا عن المسئلة وسعيا على عياله وتعطفا على جاره جاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر ومن طلب الدنيا حلالا مفاخراً مكاثراً لقي الله وهو عليه غضبان (ولما) حضرت سعيد بن المسيب الوفاة أخرج دنانير ثم جعل يقول اللهم انك تعلم أني لم أجمعها الا لاصون بها ديني (وقال) سفيان الثوري رحمة الله عليه المال في زماننا هذا سلاح المؤمن (وللفقيه أحمد)

بلوت أناسا واختبرت اكابرا * وعاشرت اخوانا وجربت من نصح
فلم أر محبوبا أصح مودة * وأنجح في الحاجات من درهم وضح

(وقال سفيان الثوري) لأن أخلف عشرة آلاف درهم يحاسبني الله عليها أحب اليّ من أن أحتاج الى الناس. وعن وكيع قال قال سفيان حين عاتبته في تقليبه الدنانير دعنا منك فانه لولا هذه لتمندل بنا القوم تمندلا. وعن بعضهم قال دخلت على ابن المبارك وهو يبكي فقلت له مالك ياأباعبدالرحمن قال بضاعة لي أذهبت ديني فقلت أتبكي على المال قال نعم انما هو قوام الدين (وقيل) ان رجلا قصد عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه في دين لزمه فرأى عبد الرحمن يخرج الحشف من التمر ثم حاسب وكيله في ثلثي درهم فأيس الرجل وقام

ليخرج فقال له عبد الرحمن لا تخرج وقل حاجتك فعرض عليه القصة ثم قال أيست منك فقال عبد الرحمن أعطوه دينه ثم قال ان محاسبتي الوكيل واخراج الحشف من التمر هو لاجل ان أعطيك اثنى عشر ألف درهم الذي لزمك . وقال بعضهم من رزق السخاء والتقوى وهو في سعة من الدنيا كان خزانا من خزان المولى . وعن علي رضي الله عنه المال يسوّد غير السيد . ويقوي غير الايد . الفقر في الاذن وقر . وفي العين عقر . وفي الجوف بقر . وفي القلب نقر . ومن جمع بين الزرع والضرع والتجارة . فقد استثمر التبر من الحجارة . الغني مجل مبجل . والفقير مذل مبتذل . متى يستقل المقل . مال المرء موئله . وقوّته قوته . الدراهم مراهم . الذهب خير مال حاضر . لباد وحاضر . (ووجدت في كتاب أخي)

اذا كنت ذا ثروة من غنى * فانت المسوّد في العالم

وحسبك من نسب صورة * تخبر أنك من آدم

(وكان) أبو القابس في العرب يحب الدرهم ويمدحه فاذا وقع الدرهم في يده نقده ثم قال كم يد لمستك وكم من بلد قد طفت أبشر وقر عينا فقد استقر بك المنزل واطمأنت بك الدار * وكان أخ له يقول كل مدح للدراهم لاجل النفقة في باب الصدقة . فانها سخنة عين الحدقة . وقيل المال أثمان المعالي وقيم النفوس . وجناح الهمم وصوان الاعراض

الباب الرابع

﴿ ومن فتن الدنيا ان كل فاضل فالتراب بساطه . وكل جاهل فعلى الثريا سماطه ﴾

(عن انس بن مالك رضي الله عنه) قيل يارسول الله متى يترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر قال اذا ظهر فيكم ماظهر في بني اسرائيل قبلكم

قالوا وما ذاك يارسول الله قال اذا ظهر الادهان فى خياركم والفاحشة فى شراركم وتحول الملك فى صغاركم والفقه في رذالكم . (وعنه) صلى الله عليه وسلم لهوان الدنيا على الله أن يحيي بن زكريا صلى الله عليهما وسلم قتلته امرأة بغي . وقال لاتقوم الساعة حتى يصير العلم الى الاراذل والملك الى الانذال والدنيا الى السفل . وقال بزرجمهر . حقيق بالبكاء حر ابتلى بعبد وعاقل ابتلى بجاهل وكريم ابتلى بلئيم وانشد

كم من أديب عاقل فاضل * مستكمل الااب مقل عديم
ومن جهول وافر ماله * ذلك تقدير العزيز العليم

﴿ ولبعضهم ﴾

ان ضاق كفى فهمتي أبدا * أرفع من همة المياسير
أرى رجالا قد خولوا نعما * فى خفة العقل كالعصافير
تبارك الله كيف يرزقهم * لكنه رازق الخنازير

(وللامام) محمد بن ادريس الشافعي رضي الله تعالى عنه

رزقت مالا على جهل فعشت به * فلست أول مجنون بمرزوق

﴿ ولبعضهم ﴾

كم قد سمعت وكم أمسيت فى طاب * وقلت للدهر قم عني فلم يقم
وقدت نفسي الى قوم لأخدمهم * لو ساعد الدهر كان القوم من خدمي

﴿ وقال آخر ﴾

أتعرف فى الدنيا كريما تؤمه * لدفع ملم او لبذل جليل
فلله دهر خيره للئامه * وأحراره صرعي بكل سبيل

(وقيل) لما أرسل الله موسي عليه الصلاة والسلام الى فرعون كان عليه لباس من صوف ونعلان من جلد حمار غير مذكي وشكا الى الله تعالى جوعه وفقره وما فيه فرعون من الزينة والقوة فأوحى الله تعالي اليه أتبدل ما أعطيتك بما

آتيته قال أستغفر الله (ولبعضهم)

أقول فيك على خبر ومعرفة * ان الذليل ذليل حيثما كانا
لولا زمان تولى فى تصرفه * ودولة ظلمت ما كنت انسانا

الباب الخامس

(ومن محنها أنك تعيش الدهور والازمان • ولا تجد صديقا صدوقا من الاخوان)

(وعن ذي النون) أنه قال أطول الناس سفرا من طلب أخاليس فيه عيب • وكان نقش خاتم ابن ابى دواد وما وجدنا لاكثرهم من عهد • فلا تذهب نفسك عليهم حسرات • (وقيل) ان الشافعي رضى الله عنه دفع اليه رقعة وقد جلس للمناظرة مكتوب فيها •

عفا الله عن عبد أعان بدعوة * خليلين كانا دائمين على الود
الى أن وشى واشي الهوي بنميمة * الى ذاك من هذا فحالا عن العهد

(وقال بعضهم)

أراك خلاف النصح ناصحك الادنى * وخانتك في صدق الوفا يدك اليمنى
فلا تطلب الحسنى من الناس باطنا * فحسبك أن تلقى لهم ظاهر الحسنى
سكنت الى الدنيا الدنيئة مدة * فما طاب لي فيمن عرفت بها سكني
وساءلت عن معنى الصديق ووصفه * فألفيته في الناس لفظا بلا معنى

(وقال) أبو القاسم الحكيم الصداقة عداوة الا ماصافيت • والمال حسرة الا ماواسيت • والمخالطة تخليط الا ماداريت (وقيل) لسفيان الثوري دلني على رجل أجلس اليه قال تلك ضالة لا توجد • وقال الاعمش رأينا أقواما كان الرجل منهم لايلقي أخاه الشهر والشهرين فاذا لقيه لم يزده على كيف أنت وكيف الحال ولو سأله شطر ماله لاعطاه ثم أدركت أقواما لو كان أحدهم يلقى

أخاه يوما سأله عن الدجاجة في البيت ولو سأله حبة من ماله لمنعه اياها (وقيل) ان رجلا سال سفيان الثورى عن الاخوة فى الله فقال تلك طريق نبت عليها العوسج (ولاحمد بن يحيي بن ثعلب)

احذر مودة ماذق * مزج المودة بالحلاوه
يحصي الذنوب عليك ايام الصداقة للعداوه

(آخر) لا خير في صحبة انسان * يأتي من الغدر بألوان
فلعنة الله على صاحب * له لسانان ووجهان

شر الاخوان من اذا حضر أثني ومدح . واذا غاب عاب وقدح . شر الاصدقاء من ظاهره موافق . وباطنه منافق . شر الاخوان من يزن بالميزان الخفيف . ويقوم بالثمن الطفيف

بليت باخوان هذا الزمان * فاقلات بالهجر منهم نصيبي
وكلهمو ان تأملتهم * صديق العيان عدو المغيب

(وقال آخر)

اذا ما الناس جربهم لبيب * فاني قد أكلتهمو وذاقا
فلم أر ودهم الا خداعا * ولم أر دينهم الا نفاقا

(وقال آخر)

يا غارسا بيمينه * طلب الثمار من السباخ * ياجاعلا بيض القطا تحت الحدا اطلب الفراخ * فسد الاحبة كلهم * فانظر لنفسك من تؤاخي

(قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم من نظر الى أخيه نظر مودة لم يك في قلبه عليه احنة لم يطرف حتى يغفر الله له ماتقدم من ذنبه وما تأخر (وقيل) الصديق الصدوق أول العقد . وواسطة العقد . وقربة الوداد . أقرب من لحم الولاد وليس للاخ اذا حضر عديل . ولا للحبيب اذا غاب بديل . فحضوره روح

الحياة . وفراقه سم الحيات (وقيل) ان الله تعالى عوض المؤمن عوضين اثنين من شيئين أقام له المسجد عوضاً من الجنة وأقام له النظر الى اخيه عوضاً من النظر اليه. (وقيل) كان بعض السلف يوصي باتخاذ الاخوان ويقول لا يدرى لمن يكون هناك الجاه والقدر فيشفع . وقال على رضى الله عنه من كان له صديق حميم فانه لا يعذب ألا ترى كيف أخبر الله تعالى عن أهل النار في قوله تعالى فما لنا من شافعين ولا صديق حميم . وقيل لقاء الاحباب . لقاء الالباب . وقيل في لقاء الاخوان . روح الجنان . وراحة الجنان . فاذا كاتبته فليكن المداد . من سواد الفؤاد . والقرطاس من بياض الوداد . (وقال) أبو بكر الوراق في المعاشرة انها مأخوذة من العشرة يعاشر الحكيم بالطاعة . والعاقل بالاقتداء . والاحمق بالصبر . والجاهل بالمداراة . والمبتلى بالرحمة . وطالب الدين بالمعونة . وطالب الدنيا بالمروءة . ومن فوقك بالتواضع . ومن دونك بالرفق . والمطيع بالتعظيم .

الباب السادس

﴿ومن محنها من أحسن الى غير أهله فقد عطل احسانه . والولد السوء يشين والدة ويهدم بنيانه﴾

(وعن) النبي صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم وواضع العلم عند غير اهله كمقلد الخنازير الجوهر واللؤلؤ والذهب . وعن على رضي الله عنه قال شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ومعهم عبد الله بن سلام فقال عبد الله بن سلام بابي أنت وأمي ألا أحدثك كان في بني اسرائيل أعجب من العجب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قل قال خرج حمير بن عبد الله متصيدا فلما أقفرت به الارض فاذا بحية قد انسابت بين قوائم دابته حتى قامت على ذنبها والخبر الى آخره (وقال سفيان الثوري) وجدنا أصل كل عداوة اصطناع المعروف الى اللئام . وقيل ان أحدبني عقيل خرج في ابتغاء الصيد فاذا هو بضبع تؤم نحوه فأجارها فبينما هو في صيده اذا بفارس قد أتى في طلبها

فلما علم أنه قد أجارها انصرف فأتى بها منزله وأمر أهله فأطعموها وسقوها وخرج لحاجته فوثبت على ابن له صغير فشقت بطنه فقيل له الحق ابنك فقد قتل فانصرف الى اهله فاصاب ابنه ميتاً فقال .

ومن يجعل المعروف مع غير اهله * يلاقي الذي لاقى مجير ام عامر
أعد لها لما استجارت ببيته * لبانا من البان اللقاح الدرائر
فأشبعها حتى اذا ما تمكنت * فرته بانياب لها وأظافر
فقل لذوي المعروف هذا جزاء من * يجود بمعروف الى غير شاكر

(وقيل) ان رجلا مر بمفازة فوجد فيها بئراً حفروها لصيد السباع وقد وقع فيه انسان ونمر وقرد وحية فقال الرجل لا أعمل اليوم عملا أفضل من نجاة أخي هذا من بين أعدائه فأخذ حبلا ودلاه في البئر فتعلقت به الحية فاخرجها ثم دلاه فتعلق به القرد ثم دلاه فتعلق به النمر فشكروا جميعاً صنيعه وقالوا لاتخرج هذا الانسان من البئر فانه ليس فى الاشياء أقل شكرا من الانسان فلم يلتفت الى قولهم فدلاه فاخرجه فقال القرد ان منزلي في جبل كذا وكذا ان مررت به يوما فصوت لي لعلي أكافئك وقال النمر منزلي في أجمة كذا وكذا وقالت الحية منزلي في مدينة كذا وكذا وقال الرجل ان منزلي في مدينة هذه الحية ان دخلتها يوماً فانزل علي لعلي أكافئك فتفرقوا على هذا فمر الرجل ذات يوم على القرد فصاح به فاتاه وتواضع له فذهب وجاءه بنوا كه كثيرة وقال انك تعلم أنا لا نقدر على شيء سوى الفاكهة فاعذرني ثم مر هذا الرجل بأجمة النمر فصاح به فخرج وتواضع له وذهب فاستقبلته ابنة الملك وعليها من الحلي مالا يوصف فقتلها وسلب عنها حليها وجاء به اليه فاعتذر اليه فقال هذا مما لا أرجو منه فكيف يصنع فيّ أخي الضائع فمر به ونزل عليه وقال معي حليّ فاعنى على بيعه قال أرنيه فأراه اياه فقال قف آتك بالمشترى

فذهب الى والد البنت فعرفه فجاء الشرط والاعوان فأخذوه وضربوه وسجنوه وأعلموا الناس ليجتمعوا في غد ليروا عذاب هذا اللص فلما جن الليل وهو في السجن صاح بالحية فجاءت اليه وخضعت له وقالت له ألم نقل لك فلم تقبل نصيحتنا ولكن أنا أحتال لك حيلة فذهبت الحية فلدغت ابن الامير وطوقت في عنقه فلم ينفعه رقية الراقين والامير والناس يبكون على الفتى فصاحت الحية وقالت اسمعوا قولي لاينفعه شيء دون خصلة واحدة قالوا وما هي قالت ان في السجن انسانا صالحا ناسكا عابدا وهو مظلوم فلو وضع يده عليه لتنحيت عنه وبرئ قال فاخرج الشاب فوضع يده عليه فبرئ وصح فقال له الامير أخبرني بقصتك فاخبره بما جرى عليه فقال الامير والناس جميعاً صدق القرد والنمر والحية فصلبوا الضائع ونجا هو (وقيل) أضيع الاشياء خمسة سراج في الشمس . وعروس عند عنين . ومائدة بين يدي شبعان . ومطر في أرض سبخة . ومعروف يصطنع الى غير اهله . وقيل الاحسان الى اللئيم اضيع من الرقم على البساط . والنقش على الماء . والخط في بسيط الهواء . والاحسان عنده اذا وضعته . فقد أضعته . التقام السلام . أهون من السلام على اللئام . عشرة اللئيم . من العذاب الاليم .

(فصل) وقال النبي صلى الله عليه وسلم ليأتين على الناس زمان لايسلم لذي دين دينه الا من فر من شاهق الى شاهق ومن جحر الى جحر كالثعلب الذي يروغ قالوا ومتى يارسول الله قال اذا لم تنل المعيشة الا بمعاصي الله فاذا كان كذلك حلت العزوبة قالوا كيف ذلك يارسول الله وقد امرتنا بالتزوج قال انه اذا كان ذلك الزمان كان هلاك الرجل على يد أبويه فان لم يكن له أبوان فعلى يد زوجته وولده فان لم تكن له زوجة ولا ولد فعلى يد قرابته وجيرانه قالوا وكيف ذلك قال يعيرونه بضيق المعيشة ويكلف مالا يطيق حتى يوردوه

موارد الهلكة . وقيل لواحد تريد الولد قال لا قيل ولم قال لانهم ملوك في صغرهم واعداء في كبرهم (وقال الاحنف) الصاحب الموافق خير من الولد المخالف وتلا قصة نوح انه ليس من اهلك (وانشد ابن الرومي)

فلا تفخرن الا بما قدفعلته * ولا تحسبن المجد يورث بالنسب
وليس يسود المرء الا بنفسه * وان عد آباء كراما ذوي حسب
اذا العود لم يثمر وان كان شعبة * من المثمرات اعتده الناس في الحطب

(ولآخر)

قيل للقاسم الوحيّ * قابلك الدهر بالنجائب
مات لك ابن وكان زينا * وعاش ذو الشين والمعائب
حياة هذا كموت هذا * فليس تخلو من المصائب

(قال الشيخ) العقوق مأخوذ من عققت الشيء اذا شققته وقطعته . ومنه قيل للشاب اذا كان فيه شق عق حكى ذلك الاصمعي عن العرب ومنه قيل للعقيق عقيق لانه اخرج من جوهر فشق . ومنه قيل ان فلانا عق أباه أي قطع بره عنه . ومنه قيل لموضع بالمدينة عقيق لانه قطع بالعمارة عن سائر المواضع بها . والعرب تقول عققته فهو عقيق ومعقوق (وأنشدني بعضهم في ولد مخالف)

أبوك أب حرّ وأمك حرّة * وقد يلد الحران غير نجيب
فلا يعجبن الناس منك ومنهما * فما خبث من فضة بعجيب

(وسمعت) الربيع يقول أتيت الشافعي رضي الله عنه ورجل بين يديه جالس فقلت هو بارّ بوالديه فقال الشافعي رضي الله عنه لعل والديه كانا بارين بوالديهما (وعن) ابن أوس عن أمه قالت الادب من الآباء والصلاح من الله عز وجل

الباب السابع

(ومن فتنها ان الخلوة والعزلة في هذا الزمان . صيانة الدين وراحة الابدان)

(وعن سفيان الثورى) رضي الله عنه قال دخلت على جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنهما فقلت يا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم مالي أراك قد اعتزلت عن الناس فقال ياسفيان فسد الزمان وتغير الاخوان فرأيت الانفراد سكنا للفؤاد . ثم أنشأ يقول

ذهب الوفاء ذهاب أمس الذاهب * والناس بين مخاتل وموارب
يفشون بينهم المودة والصفا * وقلوبهم محشوّة بعقارب

(وعن انس) رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي على الناس زمان لو سمعت باسم الرجل خير من ان تلقاه ولو لقيته خير من أن تجربه ولو جربته لابغضته وابغضت عمله (وقال ابو القاسم الحكيم) الغفلة طرب والتفكر كرب . والسلامة هرب . والرياسة عطب . والراغب فيها عجب . والخلطة جرب ﴿ حكاية ﴾ قال عبد الواحد بن زيد مررت براهب وسألته منذ كم أنت في هذا المكان قال منذ اربع وعشرين سنة قلت من أنيسك قال الفرد الصمد قلت من المخلوقين قال الوحوش قلت فما طعامك قال ثمار الاشجار ونبات الارض قلت أفلا تشتاق الى الناس قال منهم هربت لاني قرأت في كتاب الشيخ أنه كان يأمر بالاعتزال والانفراد عند فساد الارض قال عبد الواحد لقد حسدته (وعن أبي الربيع المعاند) قال قلت لداود الطائي أوصني فقال صم عن الدنيا واجعل فطرك على الموت وفر من الخلق كما تفر من الاسد (وأنشد بعضهم)

لزمت بيتي لاجل بيت * قد قلته في بني الزمان
ان بني الدهر فاجتنبهم * لفظ تعرّى عن المعاني

(ولبعضهم)

زمان قلّ فيه الناس حتى * كأن الناس في فلك البروج
وقالوا قد لزمت البيت جداً * فقلت لفقد فائدة الخروج

(وعن الحسن البصري) رحمة الله عليه قال الناس في زمانكم على ستة أصناف اسد وذئب وخنزير وكلب وثعلب وشاة. فأما الاسد فملوك الدنيا يفترسون ولا يطمع أحد في فريستهم. وأما الذئب فالتجار يذمون اذا اشتروا ويمدحون اذا باعوا همتهم في جمع المال للمواريث يودون لو وصلوا الليل والنهار حرصاً على الدنيا. وأما الخنزير فالمتشبه بالدنيا يدعى الى كل ذي زي فيجيب. وأما الكلب فالفاجر يتبع الفاجر فهارش به من شئت. وأما الثعلب فالمرء المتصنع للناس بدينه يخادع الناس كي ينال من دنياهم. وأما الشاة فالمؤمن يجز صوفه ويحلب لبنه ويؤكل لحمه ويمزق جلده ويكسر عظمه فكيف مقام شاة بين ذئب واسد وخنزير وكلب وثعلب (وقيل) لعروة حين فارق مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ونزل بالعقيق تركت المسجد يعني مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم قال لاني أرى ألسنتكم لاغية. واسماعكم صاغية. وقلوبكم لاهية وأديانكم واهية. فخفت ان تلحقني معكم الداهية (وقيل) ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه مر براهب فقال ياراهب ما أنزلك هذه الصومعة فقال يا أمير المؤمنين ان دينكم جديد وديني خلق ولو خلق دينكم لم يكن شيء احب اليك من مثل هذا (وجدت) في كتاب أن علي بن بكار قال ما بقي من روح الدنيا الا لقاء الاخوان. والتهجد بالقرآن. وبيت خال يستريح فيه الانسان (قال) سفيان ابن عيينة رأيت سفيان الثوري في الجنة يطير من شجرة الى شجرة وهو يقول الحمد لله الذي صدقنا وعده ثم لحظ لحظة اليّ وقال يا ابن عيينة أقلل من معرفة الناس فاني رأيت اقواما يشار اليهم بالاصابع قد هلكوا

الخير أجمع في السكوت * وفي ملازمة البيوت

فاذا اتاني ذا وذا * فقناعتي بأقل قوت

الباب الثامن

(ومن محنها غربة الكرام والاحرار . وبأيهم عن الاوطان والديار)

(قال النبي) صلى الله عليه وسلم من أكرم غريبا وجبت له الجنة الغريب في الغربة كالمجاهد في سبيل الله يرفع له بها لكل قدم درجة ويكتب له خمسون حسنة اكرموا الغرباء فان لهم شفاعة يوم القيامة . وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث دعوات مستجابات لاشك فيهن دعوة المسافر ودعوة المظلوم ودعوة الوالد لولده . وقال صلى الله عليه وسلم من تبسم في وجه الغريب ضحك الله اليه يوم القيامة ومن صافحه وأعانه جاز على الصراط اسرع من طرفة العين ويدخل الجنة بغير حساب (وقال) عليه الصلاة والسلام ان الاسلام بدا غريباً وسيعود غريباً كما بدا فطوبى للغرباء قيل ومن هم يارسول الله قال الذين يصلحون اذا فسد الناس انه لا وحشة ولا غربة على مؤمن ومامن مؤمن يموت في غربة الا بكت الملائكة رحمة له والا فسح الله له في قبره بنور يتلألأ من حيث دفن الى مسقط رأسه (وعنه) صلى الله عليه وسلم من أعان مؤمنا مسافراً في حاجة نفس الله عنه ثلاثا وسبعين كربة مجزنة عند الكربة العظمى قيل يارسول الله وما الكربة العظمى قال حيث يتشاغل الناس بانفسهم حتى ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام يقول أسألك بخلتي أن لا تسلمني اليها . ومن فضل الغربة ان صاحبها يرى من عجائب الامصار . وبدائع الاقطار . ومحاسن الآثار . مايزيده علما بقدرة العزيز الجبار . ويستمع العجائب . ويكتسب التجارب . والسفر يفتح المذاهب . ويجلب المكاسب . ويشد الابدان . وينشط الكسلان . ويسلي الثكلان . ويشاهد به ائمة العلم والدين . وآثار الصالحين والمتقين . ويسفر عن اخلاق الرجال .

أقول لنفسي الآن عند اغترابها * ألا فاصبري فالموت خير من الذل
ولا تعجلي يانفس بالرزق انه * ستأتي به الاقدار يوما على رسل

(وقال آخر)

اذا نلت في أرض معاشاوان نأت * فلا تطلبن منها نزوعا الى الوطن
فعش واستدم مانلت فيها فانما * نزوعك للاوطان منهالمن غبن
وما هي الا بلدة مثل بلدة * وخيرهما ما كان عونا على الزمن
لموتك بالأوطان أو دار غربة * سواء اذا لم تخش شيأ من المحن

(وقال بعضهم)

واذا الديار تنكرت أحوالها * فدع الديار وأسرع التحويلا
ليس المقام عليك حتما واجبا * في موضع يدع العزيز ذليلا

(وسئل) بعضهم عن الغريب * فقال هو المحجوب عن الحبيب

أقام على المسير وقد أثيرت * ركائبه وغرد حادياها
وقال أخاف داعية الليالي * على نفسي وأن تلق رداها
فقلت له عزمت عليك الا * ألفت من العزيمة منتهاها

(وقال آخر)

اذا ذكر الغريب مجالسيه * وعيشا صافيا قد كان فيه
تضاعف غمه وازداد شوقا * كيعقوب النبي على بنيه

(قالت العجم) من علامة الرشد أن تكون النفس الى مولدها مشتاقة والى مسقط رأسها تواقة (وقالت الفرس) حرمة بلدك مثل حرمة والديك لان غذاءك منها وغذاءهما منها (وقيل) احفظ بلداً رشحك غذاؤه وارع حمى اليك فناؤه (وقيل) أولى البلدان بصبابتك اليه بلد أرضعت ماءه واطعمت غذاءه (وقيل) الغريب النائي عن بلده المنحى عن أهله وولده كالثور الناد

عن جدده الذي هو لكل سبع فريسة ولكل رام قنيصة (وقيل) يحن الكريم الى جنابه . كما يحن الاسد الى غابه . وقال تعالى (ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم) فسوى بين قتل أنفسهم وبين الخروج من ديارهم . وقال تعالى (وما لنا ألاّ نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا) (وقال) عمر رضي الله عنه عمر الله البلدان . بحب الاوطان . من امارات العاقل بره باخوانه . وحنينه الى أوطانه . ومداراته لأهل زمانه . (وقيل) الغربة كربة . والقلة ذلة . واذا بلغتها ذلة . وأردفتها قلة . فيالها من نفس مضمحلة (وقيل) يحن اللبيب الى وطنه . كما يحن النجيب الى عطنه

لقد حكم الله في عدله * على من تأدب في الغربه
فيوم مشاربه مرة * ويوم مشاربه عذبه
وطابت اليهم أوكارهم * وأضحت مشاربهم رطبه
فلن يخلو النذل من فرحة * ولن يخلو الحر من نكبه

(وقال بعضهم)

وأنزلني طول النوى دار غربة * يجاورني من ليس مثلي يشاكله
فحاميته حتى يقال سجية * ولو كنت ذا عقل لكنت أعاقله
ولو كنت في أهلي وجل عشيرتي * لأفنيت منهم كل حر أواصله

(وقال بعضهم)

ألا ليت شعري والحوادث جمة * متى تجمع الايام يوما لنا شملا
وكل غريب سوف يفنى بذلة * اذا بان عن أوطانه وجفا الاهلا

(وقيل) لاعرابي ما السرور قال أوبة بغير خيبة . وأوبة بغير غيبة . (وقال بعضهم) غيبة تفيد غني . والفة تعقب مني . ومن أصدق الشواهد

على حب الوطن ان يوسف الصديق صلوات الله وسلامه عليه لما ادركته الوفاة اوصى بحمله الى مقابر آبائه وأجداده يعقوب واسحاق وابراهيم صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين وعلى سائر الانبياء والمرسلين

الباب التاسع

﴿ ومن فتنها محنة الزوجات والاقارب • فبعضهم كالحيات وبعضهم كالعقارب ﴾

(في الخبر) اول مايوضع في الميزان نفقة الرجل على اهله • وقيل خير النساء التي طالت قامتها وعظمت هامتها (وقيل) كتب سفيان الثوري الى مبارك بن سعيد أما بعد أحسن القيام على عيالك • وليكن ذكر الموت في بالك والسلام (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم اني ابغض المرأة تخرج من بيتها تجر ذيلها وتشكو زوجها • وأوصى لقمان رضي الله عنه لابنه وقال يابني لاتفش سرك الى اهلك ولا تأمن كيدها يابني ان المرأة خلقت من ضلع أعوج ان أقمته كسرته وان تركته ضيعته يابني ان النساء ثنتان صالحتان وثنتان ملعونتان • فاما احدى الصالحتين فهي العظيمة في قومها • الذليلة فى نفسها • الخريدة بدينها • ان اعطيت شكرت • وان منعت صبرت • وان قالت صدقت • القليل في بيتها كثير • والشر اليها بغيض • والزوج عليها عزيز • وأما الصالحة الثانية فهي الودود الولود • التي تعود بخيرها على زوجها • وترحم صغير أهل زوجها • وترحم ولد زوجها من غيرها • مصلحة للمال • مرضية للزوج • قانعة النفس • ان شهد زوجها اعانته • وان غاب عنها حفظته • يابني وأما الملعونتان فان احداهما العظيمة في نفسها • الذليلة في نسبها • ان اعطيت سخطت • وان منعت صاحت • زوجها منها في بلاء • وجيرانها منها في عناء • وهي بمنزلة الاسد ان جاورتها اكلك • وان هربت منه قتلك • يابني واما الملعونة الثانية فهي مع زوجها وقلبها مع جيرانها • الخير

عندها قليل والشر عندها كثير • وهي سريعة الدمعة سريعة الوثبة ان شهد زوجها لم تنفعه • وان غاب عنها لم تحفظه • ان حملت جولت • وان قالت كذبت • أن تلاعب الحية خير من أن تلاعبها • وأن تجامع الاسد خير من ان تجامعها (وعن على بن ابي طالب) رضي الله عنه انه قال لا تأمنوا النساء على مال • ولا تطيعوهن بحال • فانهن ان تركن أوردن المهالك وعدون أثر المالك لا دين لهن عند حاجتهن • ولا ورع لهن عند فاقتهن (ونظر) افلاطون الى امرأة مكثت على شجرة فقال ليت كل شجرة أثمرت هذه الثمرة (وكتب) رجل على باب داره لا يدخل هـذا المنزل شر فقال حكيم فمن أي باب تدخل امرأتك اذاً (وقيل) ان رجلا قال لآخر اني تزوجت امرأة سيئة الخلق فقال يا أخي طلقها فانها تهرم الرجل قبل هرمه وتذهب بمروءته وكرمه (وسئل) بعضهم عن التزوج فقال فرح شهر • وترح دهر ووزن مهر • ودق ظهر وإن ارات صفع المروّج • وان ينحني ظهره ويعوج • ولا يرى ذرة من الفرج • فمره فليتزوج • وثلاثة لا راحة معها الا بالمفارقة السن المتحركة المتأكلة • والعبد اذا فسد على مولاه • والمرأة اذا نشزت على زوجها (وفي الخبر) عليك بالابكار فانهن اكثر حياء واقل جفاء (وقيل) العيال أرضة المال كالسوس في الصوف زمن الصيف • وتقدم رجل الى آخر فقال أريد أن احتجم وأتزوج فبأيهما أبدأ فقال كلاهما الصفع على القفا فابدأ بأيهما شئت (وقيل) لمنصور الفقيه

بزوجة بخ بخ * وقعت في جوف فخ فعن قريب ستندم * تشكو الى كل أخ

(وقال آخر) لولا بناتي وسيآتي * لطرت شوقا الى مماتي

لانى في جوار قوم * نغصني قربهم حياتي

(وقال الاصمعي) رأيت اعرابياً وقد تعلق باستار الكعبة وهو يقول

يا ربنا الواحد خير رب * يا رب حسبي من بناتي حسبي

أفنين مالى وأكلن كسبي * ان زدتني أخرى قطعت زبي

(قال) فقلت كم لك من البنات قال تسع والمرأة كانت حاملا (وقال) عمر رضي الله عنه ووصف النساء ابنة عشر درة للناظرين. ابنة عشرين لذة للمعانقين ابنة ثلاثين تميس وتلين. ابنة أربعين ذات بنات وبنين. ابنة خمسين عجوز في الغابرين. (وفي الخبر) ان رجلا تزوج بامرأة سليطة فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال طلقها فلم يفعل فضربها يوما وقتلها خطأ فجاء أولياء المقتولة وقتلوه ووقع التعصب بينهم حتى قتلوا خمسمائة رجل. (ونظر رجل) الى آخر وهو مغتم فقال ماغمك قال عيالى كثير فقال لاتغتم فهم عيال الله فقال صدقت ولكني كنت أحب أن يكون الوكيل عليهم غيري. (ولما) نزل قوله تعالى تبتغي مرضات أزواجك كان يدعو دائما اللهم اني أعوذ بك من قاطع يقطعني عنك (وقيل) ان آدم عليه الصلاة والسلام لما أراد مفارقة الدنيا جمع أولاده فقال اني موصيكم بوصيتي فاحفظوها لاتعلقوا القلوب بدون الله فاني علقت قلبي بالجنة فأخرجوني منها ولا تعملوا بآراء النساء شيئا فاني عملت برأي امكم حواء فندمت وكل عمل تضطرب منه قلوبكم فلا تعملوه فاني لما أردت أكل الشجرة اضطرب قلبي ولا تعملوا عملا حتى تشاوروا فيه فاني تركت المشاورة مع الملائكة في أكل الشجرة فندمت. (وفي الخبر) مازاد رسول الله صلى الله عليه وسلم مهر نسائه على اثنتي عشرة أوقية. (وعن معاذ النسفي) قال من تزوج غنية كان له منها خمس خصال مغالاة الصداق وتشريف البناء ورفعة النفقة وفوت الخدمة واذا أراد الطلاق تعذر عليه بذهاب المال معها والفقيرة بضدها. (وقال يحيى بن معاذ) اخطب زوجة لاتسلبها عنك المنايا. واحرث بها في دار لايخربها دوران البلايا. وشبك بها حجلة لاتحرقها نيران الرزايا (وقيل) ان رجلا كان على سطح فقال لزوجته أسقط عنه نفسي فقالت لا فتذكر

قوله عليه الصلاة والسلام شاوروهن وخالفوهن فأسقط عنه نفسه فكسرت رجله وكان له في بيت المال نفقة مقدرة فأتاه رسول يزيد في قتل الحسين رضي الله عنه فأراه رجله المكسورة ثم قال لزوجته كم لله على من نعمة في مخالفتك فلو خرجت لكان فيه غضب الله تعالي ولو تأخرت لكان فيه غضب يزيد فالخيرة فيما يصنع الله تعالى (وقال بعضهم) قال لى سفيان تزوجت قلت لا قال لا تدري ما أنت فيه من العافية • وقيل العافية الف جزء تسعمائة وتسعة وتسعون جزأ أن تنام وحدك (اتفق) ان صوفيا كان له مع الله تعالى وقت حسن فاستعار ابرة من رجل فوهبها منه فاتخذ كنفاً وجعلها فيه مع الآلات ثم لم يجد موضعا يضعه فيه لما كانت تناله أيدي رفقائه فاكترى حجرة فلم يجد من يكنسها كل ساعة فتزوج بامرأة فوقع في محنة العيال والولد فكان اذا قيل له في ذلك يقول أوله كانت ابرة وآخره كانت عبرة (وقيل) كان لقمان رضي الله عنه يقول لابنه يابني لا تأمن امرأة على سر ولا تطأ خادما تريدها للخدمة ولا تستسلف من مسكين استغنى • وقيل ايضاً ثلاث فرق يجب على الرجل مداراتهم الملك والمريض والمرأة (وسمعت) بعضهم يقول خرجت طائفة الى لوط عليه السلام وقد أصابهم قحط يسألونه دعاء فلم يك لوط عليه السلام في البيت فقالت امرأته لماذا جئتم قالوا جئنا الى لوط نستشفع به الى الله تعالى فقالت خسرتم وأتعبتم أنفسكم فقال بعضهم لبعض هى أبصر بزوجها فقالوا لا بد من أن نلقاه وطلبوه حتى وجدوه في بعض القرى يصلح أرضاً فذكروا له القصة فاستقبل القبلة ورفع يديه فسقوا في الوقت فلما أرادوا الرجوع قالوا له ان لك عند ربك هذا الجاه والقدر أفلا تسأله ان يريحك من زوجتك حتى لا تذكرك بسوء فقال اني سألت الله تعالى ذلك فقال هذه فتنتك في الدنيا فاصبر عليها (وقال الشافعى) رضي الله عنه ذل الدنيا سبعة أشياء عبور الجسر

بلا قطّ وحضور مجلس العلم بلا نسخة . ودخول الحمام بلا سطل . وطلب الشريف الحاجة من الوضيع . وطلب الحوائج من الانذال . واستسلام الرجل في يدي أعدائه . وذل الرجل لامرأته بما في يدها . (وقال بزر جمهر) ينبغي ان يكون سبعة أشياء دونك يعني تحت يدك الاهل والولد والخادم وأمتك ونفسك وهواك ونقمتك . وسبعة أشياء تكون فوقك أمك وأبوك ومعلمك وعلمك وسلطانك وعالم زمانك والرجل الصالح (شعر)

كم فتى قد حلفت زوجته * أنه ان مات ماتت حزنا
ثم لما مات عنها ومضى * أصبحت تبغي سواه سكنا

(وقال سفيان الثوري) رحمة الله عليه اذا تزوج الرجل ركب البحر . فاذا ولد انكسر . (وقيل) النساء أمهات المكر . وبنات النكر . واخوات السحر وعمات الختر . وخالات الغدر . وصاحبات يوسف البدر . وصانعات الغلول وفاتنات العقول . وراكبات الفحول . وساحبات الذيول . على فتنة الشباب والكهول

﴿ فصل ﴾ قيل كتب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه الى أبي موسى الاشعري رضي الله عنه مر ذوي القرابات ان يتزاوروا ولا يتجاوروا (وقيل) العداوة في القرابة كالنار في الغابة . (ولبعضهم)

من الناس من يسقي الأباعد نفعه * ويشقي به حتى الممات أقاربه
فان يك خيراً فالبعيد يناله * وان يك شراً فابن عمك صاحبه

(وقال آخر) فان الذي بيني وبين بني أبي * وبين بني عمي لمختلف جدا
فان يأكلوا لحمي وفرت لحومهم * وان يهدموا مجدي بنيت لهم مجدا
وان ضيعوا غيبي حفظت غيوبهم * وان هم هووا غيي هويت لهم رشدا
ولا أحمل الحقد القديم عليهمو * وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا

لهم جل مالى ان تتابع لي غـنى * وان قـل مالي لا أكلفهم رفـدا

الباب العاشر

(ومن محنها مخالطة المخالف والحاسد . وصحبة الضدمنهم والمعاند)

(عن أنس بن مالك) رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامـة نادى مناد أين الصدود لاوليائي فيقوم قوم ليس على وجوههم لحم فيقال هؤلاء الذين آذوا المؤمنين ونصبوا لهم العداوة وعاندوهم في دينهم قال فينادي مناد من وراء العرش احشروا الذين ظلموا وأزواجهم قال فيسحبون الى النار على وجوههم (وقال) صلى الله عليه وسلم لما عرج بي الى السماء مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون بها وجوههم وصدورهم فقلت من هؤلاء ياجبريل قال هم الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون فى أعراضهم (وأوحى) الله تعالى الى موسى عليه الصلاة والسلام الحاسد عـدو نعمتى مسخط لقضائي غير راض لقسمتى * الحاسد اذا رأى نعمة بهت . واذا رأى عثرة شمت . والتحاسد . يبطل الترافد . والحسد يذوي الجسد . ويديم الـكمد والحسد أول ذنب عصي به فى الارض واذا أردت السـلامة ممن يحسدك فعم عليه أمورك . ورب محسود على رخاء وهو بلاؤه . ورب مغبوط بنعمة هي داؤه . ورب مرحوم في سقم هو شفاؤه . ومن آذى جاره . أورثه الله داره (وكان) مكتوباً على سيف الحسين بن على رضي الله تعالى عنهما الرزق مقسوم . والحريص محروم . والبخيل مذموم . والحاسد مغموم (وقال محمد بن سيرين) رحمة الله عليه ماحسدت أحدا قط لانه لايخلو من حالين إما ان يكون مؤمنا من أهل الجنة فالله تعالى يعطيه فى الجنة أكثر مما فى يده فـكيف أحسده وإما ان يكون كافرا من أهل النار فـكيف أحسده بشيء قليل في يده ولا معنى للحسد اذا

وصل في معاداة المعاند(٣)قال عبد الله بن الحسين اياك ومعاداة الرجال فانك لا تأمن مكر حليم. أو معاداة لئيم. (قال بعض الحكماء) من عادى الرجال. لاقى الوبال. والكريم اذا ظهر شهد لفضله كل مخالف ومؤالف. واذا غاب عانده كل قرين عارف (وأنشد بعضهم)

أبدو فيسجد من بالسوء يذكرنا * ولا أكلمه صفحا وإهوانا

وهكذا كنت في أهلي وفي وطني * ان النفيس عزيز حيثما كانا

(وسئل) بعض المشايخ عن قولهم الموت الاحمر فقال هو أن يرافقك من لا يوافقك ولا يفارقك. وقال أبو الدرداء رضي الله عنه انا لنضحك فى وجوه أقوام وان قلوبنا تلعنهم (وكان الشبلى) رحمه الله تعالى يقول كثيرا

أقلب طرفي لا أرى من أحبه * وفي الدار ممن لا أحب كثير

الباب الحادى عشر

(ومن فتنها فساد الامراء وجور الظالم. وحيرة القراء وفتنة العالم)

(قال) النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل اشتد غضبي على من ظلم من لم يجد له ناصراً غيري. وقال صلى الله عليه وسلم اياكم والظلم فانما هو ظلمة يوم القيمة (وفي الخبر) فان الظلم ظلمات يوم القيمة وقال صلى الله عليه وسلم من أعان ظالما على ظلمه أزل الله قدمه يوم تزل الاقدام ومن غش امرأ في حليلته حكمه الله في حسنته يوم القيمة ومن اعتقدلوا أو اعتق مالا (١) او كتم علما اواعان ظالما وهو يعلم انه ظالم فقد برىء من الاسلام (وقال) صلى الله عليه وسلم في خطبة من

(١) قوله ومن اعتقدلوا . هكذا في الاصل وبعده بياض ولعل المراد أنه اعتقد معنى لفظ لو التي يكثر قولها من يفوته حظ ونحوه . وقوله أو أعتق مالا . لعله اغتصب مالا اه

عرضت له دنيا وآخرة فاخذ الآخرة وترك الدنيا فله الجنة ومن أخذ الدنيا وترك الآخرة فله النار ومن تولى خصومة ظالم اذا كان عليها نزل به ملك الموت يقول له أبشر بلعنة الله ونار جهنم ومن خف لسلطان جائر في حاجته كان قرينه في النار ومن سلط سلطانا على جور قرنه الله مع هامان في نار جهنم وكان هو والسلطان الجائر في نار جهنم من أشد الناس عذابا ومن أعظم صاحب دنيا ومدحه بطمع دنيا يرجوها سخط الله عليه ومن بني بنيانا رياء وسمعة حمله يوم القيمة الى الارض السابعة ثم يطوق به في عنقه ثم يرمي به في النار (وقال النبي) صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيمة يقول الله عز وجل بعزتي وجلالي وارتفاعي فوق عرشي لايجاورني ظالم ولو بلطمة (وقال) عليه الصلاة والسلام لابي هريرة رضي الله عنه يا أبا هريرة جور ساعة في حكم أعظم عندالله من معاصي ستين سنة (وقال) صلى الله عليه وسلم عرض على أول ثلاثة يدخلون الجنة الشهيد وعبد مملوك أدى حق الله ونصح لمواليه وعفيف متعفف وأما اول ثلاثة يدخلون النار فذو ثروة من مال لايعطى منه حق الله وفقير فخور وأمير جائر (ومر بعضهم) على دار وزير وقدخربت فكتب عليها

هذه دار من ظلم * وتعدى على الامم ودّ في القبر انه * لم يكن يعرف القلم

(وقيل) أول ماظهر من الظلم في امة محمد صلى الله عليه وسلم قولهم تنح عن الطريق (وأنشدت) لمحمود الوراق

كنا نفر من الولا * ة الجائرين الى القضاة

فاليوم نحن نفر من * جور القضاة الى الولاة

(وقيل لبعضهم) كيف انت مع ظلم الامراء وكثرة خراجك فانشأ يقول

قد كانت الضيعة فيما مضى * تظل من يملكها دائبه

فصار من يملكها يومنا * مهجته في همها ذائبه

تستغرق الغلة في خرجها * وتفضل الكلفة والنائبه

(وقيل) ان عثمان بن عفان رضي الله عنه دخل على غلام له يعلف ناقة فرأى في علفها ما كره فاخذ بأذن الغلام فعركها ثم ندم وقال له خذ باذني فاعركها فابى الغلام فلم يدعه حتى أخذ باذنه وجعل يقول شدّ شدّ حتى بلغ منه مثل مابلغ ثم قال واهاواها لقصاص الدنيا قبل قصاص الآخرة (وقيل) توفي رجل من الحواريين فوجدوا عليه وجداً شديدا فشكوا ذلك الى عيسى صلى الله عليه وسلم فوقف على قبره فدعا فاحياه الله تعالى وفي رجليه نعلان من نار فسأله عيسى عليه الصلاة والسلام عن ذلك فقال والله ماعصيت قط الا اني مررت بمظلوم فلم انصره فأنعلت بهذين النعلين (وأنشدوا)

يا غاصب الضيعة من نسوة * يحوزها قهراً لسلطانه
يجأرن بالليل الى خالق * اغاثة الملهوف من شانه
لا يغصب الضيعة ذو ضيعة * يريد أن تبقى لصبيانه

(وعن على) رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله غافر كل ذنب الا مهر امرأة ومن اغتصب أجيرا أو رجلا باع حرا (وعن جابر رضي الله عنه) قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا كعب بن عجرة اعيذك بالله من إمارة السفهاء قال وماذاك يارسول الله قال أمراء سيكونون بعدي من دخل عليهم فصدقهم بحديثهم ولم يعنهم على ظلمهم فأولئك مني وانامنهم أولئك يردون على الحوض يا كعب بن عجرة الصلاة قربان والصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار يا كعب بن عجرة لايدخل الجنة من نبت لحمه من سحت النار أولي به يا كعب بن عجرة الناس غاديان فغاد بائع نفسه وموبق رقبته

﴿ فصل ﴾ قيل حجب بعض الظرفاء عن بعض اخوانه فكتب اليه

قل لمن يحجبني * أيها المحجوب عنى هذه منك فان * عدت الى الباب فني

(وسمعت بعضهم) يقول وقد حجب عن باب متمثلا

ان الفراغ الى سلامك قادنى * ولربما طلب الفضول الفارغ

ما لى بحمد الله عندك حاجة * وعلىّ من نعم الآله سوابغ

ان كنت تهت بحالة قد نلتها * فالكلب في العسل المصفى والغ

(وقال) آخر حجب أعرابي عن باب أبي دلف فكتب اليه

اذا كان الكريم له حجاب * فما فضل الكريم على اللئيم

فأمر له بالف درهم وكتب اليه في الجواب

اذا كان الكريم قليل مال * ولم يعذر تعلل بالحجاب

(آخر) أأحضر باب ابراهيم جهلا * بما فيه وأرشو الحاجبين

فأخرج ان خرجت بغير شيء * وأدخل ان دخلت بدرهمين

(وقال آخر)

قل للذى يحجب الاحرار ان حضروا * اذكر حجابك في يوم له شان

اذ دارك القبر والبواب لبنته * وفرشك الرمل والخدام ديدان

(وعن صالح المري) رحمه الله تعالى أن الحجاج أخذ رجلا وأمر بحبسه وكتب فيه الى عبد الملك بن مروان وأمر السجان أن يقيده بسبعة قيود فجاء السجان من الغد فقال أصلح الله الامير الأمان والا فهذه رقبتي قال ماوراءك قال الذي قيدته وحبسته لم يصبح في السجن فقال ويلك فهل رأيت نقباً أو أثراً أو فتحاً قال لا قال فهل سمعته يقول شيئاً قال كلما قيدته بقيد وسمرته بمسمار رفع رأسه الى السماء وقال (ألا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين) قال فلا عليك بأس فان صاحب الامر أخذ بيده أو كما قال وكان سجن بجنب جامع فكان بعض الحكماء يقول الجامع دار المذنبين

والسجن دار البريئين قيل كيف قال في الجامع من اذا سألتهم يقولون نستغفر الله من ذنوبنا ومن سألته في السجن بم حبست يقول لا ذنب لي

ما ادخل السجن انسان فتسأله * مابال سجنك الا قال مظلوم

(وكتب) واحد الى محمد بن أسلم في السجن يعزيه عن مكانه فاجابه اني رأيت بيتاً سقطت عني فيه فروض وحقوق منها الجمعة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وعيادة المريض وقضاء حقوق الاخوان وما نزلت بيتاً في ديني خيراً منه فأخبر عبد الله بن طاهر بذلك فقال نحن في حاجة الى ابن سلم أطلقوه (وللبحتري)

جعلت فداك الدهر ليس بمنفك * من الحادث المشكور والنازل المشكي
وما هـذه الايام الا منـازل * فمن منزل رحب ومن منزل ضنك
وان هـذبتك الحادثات فانما * صفا الذهب الابريز قبلك بالسبك
أما في رسـول الله يوسف أسوة * لمثلك محبوساً على الظلم والافك
أقام جميل الصبر في السجن برهة * فآل به الصبر الجميل الى الملك
ألا انه قد ضيم في حبسك العلا * وأصبح عز الدين في قبضة الشرك

(ولآخر)

غير الليالي باديات عوّد * والمال عارية يعاد وينفد
لايوئيسنك من تفرج كربة * غضب رماك به الزمان الانكد
كم من عليل قد تخطاه الردي * فنجا ومات طبيبه والعـوّد
صبرا فان اليوم يتبعه غـد * ويد الخلافة لاتطاولها يد

(ورأيت) محبوسا ينشد

ان المصائب قد تخطت دونه * نعما وان صعبت عليه قليلا
والله ليس بغافل عن أمره * وكفى بربك ناصرا وكفيلا

﴿ فصل ﴾ قال النبي صلى الله عليه وسلم اياكم ومخالطة السلطان فانه ذهاب الدين واياكم ومعرفته فانكم لاتحمدون أمره (وقال) فضيل كنا نتعلم اجتناب السلطان كما نتعلم السورة من القرآن. وقال عليه الصلاة والسلام ما ازداد الرجل من ذي سلطان قربا الا ازداد من الله بعداً ولا كثرت أتباعه الا كثر شياطينه ولا كثر ماله الا اشتد حسابه (وقيل) من تحسي مرقة السلطان احترقت شفتاه ولو بعد حين . قال سفيان الثوري ان تجار القراء اتخذوا سلما الى الدنيا فقالوا اناندخل على الامراء نفرج عن المكروب ونتكلم عن المحبوس (وقيل) اجتمع صالح المري وأيوب السختياني الى الحسن البصري فقال لهم الحسن ليتكلم كل واحد منكما قبل الافتراق فقيل له أنت تتكلم أولا فقال الحسن لو كان لى علم هذه الامة ماجلست عند صاحب هوى مخافة أن يفسد كلامه وحلاوة منطقه قلبي وقال صالح لو كان لي أمر جميع هذه الامة لم آمن على نفسي أن أقع فيما لا يرضى ربي وقال أيوب لو كان لي صدق جميع هذه الامة لم آت باب السلطان مخافة أن اتكلم بهوى فيفسد ديني

﴿ فصل ﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان ذا وصلة لاخيه المسلم الى ذي سلطان في مبلغ بر أو تيسير عسر أعانه الله على اجازة الصراط عند دحض الاقدام (وقيل) انه رؤي لقمان رضي الله عنه يعدو خلف بختنصر فرسخا فقيل له ياولي الله تعدو خلف هذا الكافر قال لعلى أستأذنه في مؤمن فيجيبني فيه (وسمعت) بعضهم يقول كان دانيال عليه السلام يمشي تحت ركاب الملك سبعة أميال فقيل له تمشي تحت ركابه وأنت نبي قال اني اصنع ذلك رجاء ان اكلمه بكلام يدفع به عن الناس وينفعهم (ولبعضهم)

اذا حللت بنيسابور في شغل * فاحلل وحبلك موصول بسلطان
فلا يكن نسب يغني ولا ادب * يجدي ولا احد يرعى لانسان

(وقيل) ان بعض العلماء دخل على بعض الامراء فقال له الامير لم لا تجيئني وتكثر عندي المقام قال اني اخاف ان قربتني فتنتني وان أقصيتني أحزنتني وليس في يدك ما أريده ولا في يدي ما أخافك عليه وانما اتاك من أتاك ليستغني بك عمن سواك وقد استغنيت عنك بمن أغناك (وقال) النبي صلى الله عليه وسلم إنما عبد جاءته موعظة من الله عز وجل فانها نعمة من الله عز وجل سيقت اليه فان قابلها بشكر والا كانت حجة من الله عز وجل عليه ليزداد به اثما ويزداد من الله سخطا . وهذا الخبر ذكره الاوزاعي حين دخل على ابي جعفر المنصور فلما جلس عنده حدثه بهذا الحديث ثم قال يا امير المؤمنين ايما وال بات غاشا لرعيته الا حرم الله عليه الجنة يا امير المؤمنين حدثني مكحول عن عروة بن الزبير عن عائشة الصديقة رضي الله عنها قالت كانت في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم جريدة يستاك بها ويروع بها المنافقين فاتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فقال يا محمد ماهذه الجريدة التي كسرت بها قلوب امتك وملأت قلوبهم رعباً . فكيف من تشق ابشارهم وتسفك دماءهم وتخرب ديارهم وتجليهم عن بلادهم يا أمير المؤمنين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الى القصاص من نفسه وهذا معروف حين خدش أعرابيا فاتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فقال يا محمد ان الله لم يجعلك جباراً ولا متكبراً فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الاعرابي والخبر معروف يا امير المؤمنين لو ان الملك بقي لمن قبلك لم يصل اليك فكذلك لا يبقى لك كما لم يبق لغيرك أتدري ماجاء في تأويل هذه الآية لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها قال الصغيرة التبسم والكبيرة الضحك فكيف بما عملته الايدي وحصدته الالسن يا امير المؤمنين بلغني ان امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لو ماتت سخلة على شاطئ الفرات ضيعة لخفت ان أسئل عنها فكيف بمن حرم عدلك وهو على بساطك أتدري

ماجاء في تأويل هذه الآية (ياداود انا جعلناك خليفة في الارض) ياداود أقعد الخصمين بين يديك وان كان في احدهما هوى فلاتمنين فى نفسك ان يكون الحق له فيفلح على صاحبه فامحوك من نبوتي ثم لاتكون خليفتي اني انما جعلت رسلي على عبادي رعاء كرعاء الابل لعلمهم بالرعاية ورفقهم بالسياسة ليجبروا الكسير ويدلوا على الماء والكلا . يا امير المؤمنين انك تلبست بامر لو عرض على السموات والارض والجبال لابين ان يحملنه وأشفقن منه يا امير المؤمنين حدثني زيد بن جابر عن عبدالرحمن بن ابي عمرو الانصاري (أن عمر بن الخطاب) رضي الله عنه استعمل رجلا من الانصار على الصدقة فرآه بعد أيام مقيما فقال مامنعك من الخروج الى عملك أما علمت ان لك أجر المجاهدين في سبيل الله قال لانه بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مامن وال يلي شيئاً من امور المسلمين الا أتي يوم القيامة فوقف على جسر جهنم في النار ينتفض منه ذلك الجسر انتفاضه تزيل عضوا(٢) منه عن موضعه ثم يعاد فيحاسب فان كان محسنا جاز باحسانه وان كان مسيئاً انخرق به ذلك الجسر فهوى به في النار سبعين خريفا قال له ممن سمعت هذا قال من أبى ذر وسلمان رضي الله عنهما فارسل اليهما عمر رضي الله عنه فقالا نعم سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر واعمراه فمن تولاها بما فيها قال ابو ذر من سلب الله أنفه(٣) وألصق خده بالارض قال فاخذ المنديل فوضعه على عينيه وانتحب حتى ابكاني . ثم قال يا أمير المؤمنين سأل عم النبي صلى الله عليه وسلم امارة على مكة والطائف واليمن فقال له النبي صلى الله عليه وسم ياعم النبي نفس تحييها خير من امارة لاتحصيها نصيحة منه لعمه وشفقة عليه وانه لايملك من الله شيئاً * ولما أوحي الله تعالى اليه وأنذر عشيرتك الاقربين قال ياعباس عم رسول الله ياصفية عمة النبي ويافاطمة بنت محمد اني لست أغني عنكم من الله شيئاً ألا

لي عملي ولكم عملكم

(شعر)

أفنيت عمرك باغترارك * ومناك فيه وانتظارك
ونسيت مالا بد منـــه وكان اولى بادّكارك
وان اعتبرت بما ترى * فكفاك علما باختبارك
لك ساعة تأتيك من * ساعات ليلك أو نهارك
بادر بجدك قبل أن * تقضي وتنزع من قرارك

(قال مقاتل بن سليمان) دخلت على حماد بن سلمة فاذا ليس في البيت الا حصير وهو جالس وفي يده مصحف يقرأ فيه وجراب فيه علمه ومطهرة يتوضأ منها فبينا أنا جالس اذ دق الباب فقال ياصبية اخرجي فانظري من هذا فقالت رسول محمد بن سليمان الى حماد بن سلمة فأذن له فدخل فقال أما بعد فصبحك الله بما صبح به أولياءه وأهل طاعته وقعت مسئلة فأتنا نسالك عنها والسلام فقال ياصبية هلم الدواة ثم قال لى اقلب الكتاب واكتب أما بعد فانت صبحك الله بما صبح به أولياءه وأهل طاعته انا أدركنا العلماء وهم لا يأتون أحداً فان وقعت لك مسئلة فأتنا وسل مابدالك وان أتيتني فلا تأتني بخيلك ورجلك فلا أنصحك ولا أنصح الا نفسي والسلام فبينما أنا جالس اذدق الباب فقال ياصبية اخرجي فانظري من هذا قالت محمد بن سليمان قال قولى له يدخل وحده فدخل وجلس بين يديه ثم ابتدأ فقال مالي اذا نظرت اليك امتلات منك رعباً قال حماد حدثنى ثابت البنانى قال سمعت أنسا يقول سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان العالم اذا أراد بعلمه وجه الله هابه كل شيء واذا أراد ان يكنز(٣) الكنوز هاب من كل شيء فقال ماتقول رحمك الله في رجل له ابنان وهو عن أحدهما أرضى فأراد ان يجعل له في حياته ثلثي ماله

فقال لايفعل رحمك الله فاني سمعت انسا يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا أراد الله ان يعذب عبدا من عباده في حياته وفقه لوصية جائرة قال فعرض عليه مالا فلم يقبله حماد. قال أبو الحسن كتب عني هذا الحديث احمد بن حنبل رحمة الله عليهما (وأخبرنا) عبد الملك بن محمد باسناده عن محمود الوراق قال دخلت على أصوم بن اسود فقال يامحمود اني عزمت على الحج فقلت عزم الله لك على الرشد ثم مررت على بابه بعد ثلاث فاذا الدواب والمراكب فاستاذنت عليه فأذن لي فقلت اصلح الله الامير ما الذي نقض عزمك قال خفت ان أموت فيدفنني الغلمان ويصلي عليّ الاعراب فأطرقت متفكرا فقال لي فيم أنت متفكرا أقسمت عليك لتخبرني قال فأنشدته

فمن كتبت منيته بأرض * فليس يموت في أرض سواها

فقال والله لاأقمت ببغداد ساعة وخرج. وعن عبدالله الواجد قال طلب الحجاج الحسن فلم يظفر به فتركه حتى اطمأن ثم أخذ فبعث اليه قال الحسن فدخلت عليه فقال لي ياحسن ماالذي يبلغنا عنك قال وما يبلغ الامير أصلحه الله قال انك قلت اتخذ مال الله دولا وعباد الله خولا ودمن الله دغلا قال قد قلت ذلك اصلح الله الامير قال وما يجرئك على السلطان قلت العهد الذي أخذ الله على العلماء قال وماذا عهد اليهم قال قلت واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب ليبيننه للناس ولا يكتمونه قال أما علمت ان السلطان ظل الله في الارض فمن نصحهم هدى ومن غشهم غوى فقلت اذا كان عدلا فقال الحجاج كذبت ليس فيه اذا كان عدلا فقال الحسن مازدت فيه حرفا ولا نقصت قال فما زال يكلمني حتى قال للجارية هاتي الغالية فجاءت فغلفت رأسي ولحيتي ثم قال ياحسن انظر أن لايبلغنامنك بعد هذا اليوم الاخير فنعم المؤدب أنت

﴿ فصل في الامراء العادلين ﴾ . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث لاترددعواتهم الامام العادل ودعوة الصائم حين يفطر ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام الى يوم القيامة يفتح لها أبواب السماء ويقول الرب وعزتي وجلالي لانصرنك ولو بعد حين . وعن أبي رجاء العطاردي قال سمعت أبا بكر الصديق رضي الله عنه وهو على المنبر يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الوالى العادل المتواضع ظل الله وريحه فمن نصحه في نفسه وفي عباده حشره الله في وفده يوم لاظل الا ظله قال ويرفع للوالي العادل المتواضع في كل يوم وليلة عمل ستين صديقا كلهم عالم وعابد مجتهد في نفسه . وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان من حق جلال الله عز وجل اكرام ذي الشيبة المسلم ورعاية القرآن لمن استرعاه الله عز وجل اياه وطاعة الامام المقسط (وعن أنس) بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم السلطان ظل الله عز وجل في الارض فمن أطاعهم ونصحهم ودعا لهم اهتدى ومن خالفهم وغشهم ودعا عليهم ضل (وعن) حميد عن أنس رضي الله عنه قال يقول الله عز وجل انا الملك قلوب الملوك بيدي فأي قوم أطاعوني جعلت قلوب الملوك عليهم رحمة وأي قوم عصوني جعلت قلوب الملوك عليهم نقمة فتوبوا الي أعطف قلوبهم عليكم (قال) وكان مكتوبا على سرير أنو شروان أربعة أسطر الاول لا يكون الملك الا بالرجال ولا تكون الرجال الا بالاموال ولا تكون الاموال الا بالعمارة ولا تكون العمارة الا بالعدل . (وقال) فضيل رحمه الله لو كانت لي عند الله دعوة مستجابة لصيرتها للسلطان فان دعوتي لنفسي لاتنفع غيري واذا كانت له انتعش العباد والبلاد بعدله (ويقال) رفع لكسرى ان صاحبه بالاهواز قد أخذ الخراج حتى وصل عشرة آلاف ألف وانها فى بيت المال فوقع برد المال

باسره وقال ان الملك اذا أكثر بيوتا مما يأخذ من رعيته كان كمن يعمر سطحه مما يقتلع من قواعد بنيانه (وقال) مالك بن دينار رحمه الله تعالى لما ولى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قالت الرعاة فى رؤس الجبال من هذا الخليفة الصالح الذي قام على الناس قيل وما علمكم بذلك قالوا اذا قام على الناس خليفة صالح كفت الاسد والذئاب عن شائنا (وعن عمر) رضى الله عنه عن النبي صلي الله عليه وسلم انه قال السلطان ظل الرحمن في الارض يأوى اليه كل مظلوم من عباده فان عدل كان له الاجر وعلى الرعية الصبر واذا جارت الولاة قحطت السماء واذا منعت الزكاة هلكت المواشى واذا ظهر الزنا ظهر الفقر والمسكنة واذا احترمت الذمة اذل الكفار (وعن ابن عباس) رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسلام والسلطان اخوان توءمان لايصلح واحدمنهما الا بصاحبه والاسلام امن والسلطان حارس ومالا أمن له مهندم وما لاحارس له ضائع

فصل في حيرة القراء

عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استعيذوا بالله من جب الحزن قالوا يارسول الله صلى الله عليك وسلم وماجب الحزن قال واد في جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم اربعمائة مرة قيل ومن يدخله يارسول الله قال أعد لقراء الناس (٣) باعمالهم وان من أبغض القراء الى الله عزوجل الذين يوازرون الامراء بجورهم . وقال سفيان الثورى اذا قيل غداً أين القراء الفسقة فاخشى ان يقال هذا سفيان الثوري . وقال ايضا اذا كانت سنة مائتين فاجتنبوا الناس وسلوا ربكم العافية من امور تحدث في قرائكم وقال ابن ابي الرواد كان زناة اهل الجاهلية اشد حياء من قراء اهل زماننا ..

(٣) كذا بالاصل ولعله أعد لقراء القرآن المرائين باعمالهم وحرر

وقال سري السقطي اياكم وجيران الاغنياء وقراء الاسواق وعلماء الامراء .
وعن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيكون في آخر الزمان عباد جهال وقراء فسقة

﴿ فصل في فتنة العلماء من هذا الباب ﴾ عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم علماء هذه الامة رجلان رجل آتاه الله علما فبذله للناس ولم يأخذ عليه طعاما ولم يشتر به ثمنا فذلك الذي يصلي عليه طير السماء وحيتان البحر ودواب الارض حتى يقدم على الله سبحانه يوم القيمة سيداً شريفاً حتى (٣) وافق المسلمين ورجل آتاه الله علما فضن به على عباده وأخذ عليه طمعا يعذب حتى يفرغ الله من حساب الناس (وعن) الاصمعى قال وجد في التوراة مكتوبا كل عالم ليس معه تقوى الله فهو واللص سواء وكل غني ليس له راحة البدن فهو والاجير سواء وكل حر ليس له عقل فهو والعبد سواء وأنشد

كل البلاد عدوها سفهاؤها * وبلادنا أعداؤها فقهاؤها
كتبوا الحديث فصيروه تجارة * فهم الولاة بها وهم أمراؤها
كيف احتيالي في طلاب ظلامتي * والخصم مردود اليه قضاؤها

(قال سفيان) عن الشعبي قال يطلع قوم من أهل الجنة على قوم من أهل النار فيقولون ما أدخلكم النار فما دخلنا الجنة الا بتعليمكم وتأديبكم فيقولون انا كنا نعلمكم ولا نأتيه (وعن مالك بن دينار) قال سألت الحسن ما عقوبة العالم قال موت القلب قلت وما موت القلب قال طلب الدنيا بعمل الآخرة وقيل لكعب مايذهب العلم من صدور العلماء بعد ان حفظوه ووعوه قال الطمع والشره وكثرة الحوائج . وعن على رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أفتى الناس بغير علم لعنته الملائكة في السماء والارض

(وقيل) كان رجل يخدم موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام ويتعلم منه قال فاستأذنه أن يرجع الى قريته ثم يعود اليه فأذن له فانطلق فجعل يقول حدثني موسى كليم الله بكذا وكذا حتى كثر ماله قال فبينا موسى عليه الصلاة والسلام قاعد اذ مر رجل يقود جروا في عنقه والجرو الارنب الذكر(٣) فقال ياعبد الله من أين أقبلت قال من قرية كذا وكذا قال أفتعرف فلانا قال نعم هو الذي في يدي قال يارب رده الى حاله حتى أسأله فيم صنعت به فأوحى الله اليه انه لو سألني آدم ومن دونه من النبيين حتى يبلغ محمدا صلى الله عليه وسلم لم أرده الى حاله ولكن انما صنعت به هذا لانه كان يطلب الدنيا بالدين (وقيل) من طلب هذا العلم لله فليقل ومن طلبه للناس فليكثر فان موتهم شديد(٤) (وعن أنس بن مالك) رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة اسرى بي أتيت على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار كلما قرضت عادت قلت من هؤلاء ياجبريل قال هؤلاء خطباء أمتك الذين يقولون مالا يفعلون ويتلون كتاب الله ولا يعملون (وعنه) صلى الله عليه وسلم قال ستة يدخلون النار بستة الامراء بجورهم والعلماء بحسدهم والعرب بعصبيتهم والدهاقين وأهل السوق بخيانتهم. وقال يحيي بن معاذ واسوأتاه من فضيحة العلماء يوم القيامة من طلبهم الرياسة في دار الدنيا حب الرياسة في الدنيا ميدان ابليس ينزل فيه جنوده وحب الرياسة من الزهاد يأكل زهدهم ومن العلماء يأكل علمهم ومن العباد يأكل عبادتهم. وكان (الجنيد) رحمه الله تعالى يقول ويل للقائلين بالحق العاملين بالباطل كيف خالفت أفعالهم أقوالهم ادعوا في دار الدنيا منازل المحسنين فنزلوا في الآخرة منازل المجرمين (وقال ابن

---

(١) قوله ستة يدخلون الخ هكذا في الاصل بذكر خمسة أنواع ولعل النوع السادس سقط من قلم الناسخ مع سبب دخول الدهاقين النار اه.

السماك) يوما وقد أعجبته نفسه ألسن تصف وقلوب تعرف وأعمال تخالف . وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم العالم يحب الاغنياء فاعلموا أنه صاحب الدنيا واذا رأيتموه يطوف بأبواب السلطان فاعلموا انه لص . (وقيل) ان في جهنم واديا تتعوذ منه كل يوم سبع مرات وان في الوادي لجبا يتعوذ منه الوادي وجهنم كل يوم سبع مرات وان في الجب لحية يتعوذ منها الجب والوادي وجهنم كل يوم سبع مرات يبدأ بفسقة حملة القرآن فيقولون أي رب لم بدئ بنا قبل عبدة الاوثان فيقال لهم ليس من يعلم كمن لا يعلم (وعن منصور بن زياد) قال نبئت ان رجلا يلقى في النار فيتأذى أهل النار بريحه فيقال ويحك ما كنت تعمل أما يكفي مانحن فيه حتى ابتلينا بك وبنتن ريحك فيقول كنت عالماً فلم أنتفع بعلمي (وقال عيسى عليه الصلاة والسلام) ما يغنى عن البيت المظلم ان يكون السراج على ظهره وماذا يغني عنكم أن تتكلموا بالحكمة ولا تعملوا بها الى متى تصفون الطريق للمدلجين وأنتم مقيمون مع المتحيرين . وقال يحيي بن معاذ ان العالم اذا لم يكن زاهدا فهو عقوبة لاهل زمانه (وقال) عيسى عليه السلام ياعلماء السوء كيف ينفعكم قولي والحكمة تخرج من أفواهكم وبينها وبين آذانكم أربع أصابع ثم لا تدخل فيها . (وقال بعضهم) رأيت بعض القصاص في المنام فقلت مافعل الله بك فقال أوقفني بين يديه فقال هات ما كنت قدمته ليومك هذا فقلت يارب ماقدمت لنفسي شيأ غير اني كنت ادعو الخلق اليك قال فهل لا تركت عبادي معي واقبلت أنت عليّ (ولبعض) المذكرين قال أسوأ الناس حالا عالم اجتمع فيه ثلاث خصال يذم الدنيا ويطلبها ويحمد الآخرة ويتركها ويدعو الى الله ويفر منه (وقال) عمر رضي الله عنه اتقوا المنافق العليم قالوا ومن المنافق العليم قال الذي يتكلم بالعلم ويعمل بالنفاق

{ ولبعضهم }

يا أخا النحو فزت بالنحو لكن * لست تهدى بالنحو نحو القلوب
أنت تبغي صرف الكلام بجهد * والذي أبتغيه صرف الذنوب
وتراعي العيوب في عرض لفظ * ثم ترضى بعرضك المعيوب

وقال مالك بن دينار يكون في آخر الزمان ريح وظلمة فيفزع الناس الى علمائهم فيجدونهم قد مسخوا . (وعن) زيد بن أسلم عن أبيه قال دخلت على عمر رضي الله عنه وهو يبكي فقلت له مايبكيك ياأمير المؤمنين قال اني ذكرت قوما من هذه الامة يكونون في آخر الزمان يسمون بالعلماء ويتشبهون بالعلماء وقد وعوا ما قالت الانبياء لعانين عيابين ضحاكين مداحين لا الله يخشون ولا الناس يستحيون هم وأشياعهم أول خلق الله يسد بهم أركان جهنم فيوضعون في أسفل الدرك من النار فينادون واصلاتاه واصياماه واحجاه فلا يرحمون ثم قال قم عني فقمت عنه وانه ليبكي وانا أبكي . وقال الشعبي لو علمت مافي العلم ماتعلمت العلم (وروي) ان رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أي شئ شر فسكت عنه ثم عاد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من الشر شرار العلماء

﴿فصل في فضل العلماء﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة يؤتى أمام العرش بمنابر من نور ثم يقال أين الانبياء والعلماء فيجلسون على المنابر فيحكم الله بين الخلائق ثم يقال للانبياء والعلماء كيف رأيتم حكمي فيقولون حكمت فعدلت وأنت خير الحاكمين فما أعطاهم منزلة أجل من هذه المنزلة قال الله تعالى (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) قال وهي الدرجات التي يعطونها (وعنه) صلى الله عليه وسلم قال خيار أمتي علماؤها وخيار علمائها رحماؤها الا وان الله يغفر للعالم أربعين ذنبا قبل ان يغفر للجاهل ذنبا

واحداً (قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجوز لاحد ان يقبل يد أحدا الا يد رجل من أهل بيتي أو يد عالم (وعنه) صلى الله عليه وسلم قال جلوس ساعة عند عالم أحب الى الله من عبادة الف سنة لا يعصى الله فيها طرفة عين والنظر الى العلماء أحب الى الله من سبعين طوافا حول البيت ويشهد عليه ذلك البيت عند الله استماعك العلم خير لك وأفضل من سبعين حجة مقبولة ويكتب لك مادمت جالسا عند صاحب العلم سبعون حجة وعمرة وتنزل عليك الرحمة (وعنه) صلى الله عليه وسلم مجلس عالم خير من قراءة القرآن الف الف مرة وخير من الف الف جمعة تشهدها محتسبا وهل تقدر ان تقيم جميع أفعال البر وتطيع ربك الا بالعلم ان الطاعة كلها بالعلم في حديث طويل (وعنه) صلى الله عليه وسلم انه قال اذا كان يوم القيامة وحشر الخلائق لفصل القضاء نصبت تحت العرش كراسي من النور ثم نادى مناد من قبل الله تعالى أين العلماء ورثة الانبياء فيقوم خلق من خلائق الله تعالى لا يعلم عددهم الا الله عز وجل حتى يقوموا بين يدي الله تعالى فمن كان علمه وعمله لله أجلس على كرسي من تلك الكراسي ويوضع على رأسه تاج الكرامة ويقال له اشفع في تلاميذك ولو بلغ عددهم نجوم السماء فقد شفعت فيهم ومن كان علمه للدنيا فقد نال حظه منها ولا حظ له في الاخرة ويؤمر به الى النار (وعنه) صلى الله عليه وسلم من تعلم مسئلة واحدة قلده الله يوم القيامة الف قلادة من نور وغفر له الف الف ذنب وبني له مدينة من ذهب وكتب له بكل شعرة على جسده حجة وعمرة (وقيل) العلماء أعلام الاسلام. وسكان دار السلام. وقديماً كان العالم موقراً. والجاهل محتقراً. والعلم وسيلة الى كل فضيلة. وذريعة الى كل شريعة. (وقيل) لعبد الله بن المبارك من الناس قال العلماء قيل فمن الملوك قال الزهاد قيل فمن السفلة قال الذين يأكلون بدينهم. (وقيل) لا يدرك العلم الا بلسان سؤل.

وقلب عقول . وكف بذول . ولو سكت من لا عقل له لم يكن بين العلماء خلاف . (وقيل) عصابة أهل العلم هم الأكثرون وان قلوا ومن خاضوا فى العلم هم الاكثرون وان قلوا ومحل الانس حيث حلوا (وعنه) صلى الله عليه وسلم قال من خاض في العلم يوم الجمعة فكأنما أعتق سبعين الف رقبة وكأنما تصدق بألف الف دينار وكأنما حج أربعين حجة وعمرة وهو في رضوان الله وعفوه ومغفرته (وعن أبي امامة) رضي الله عنه قال بينما نحن جلوس عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ أتاه رجل فقال يارسول اخبرني بأحب العباد الى الله تعالى بعد النبيين والمرسلين فقال عليه الصلاة والسلام ليس من امتي احد احب الى الله من العلماء والمعلمين لأنهم هم الذين يحيون سنتى من بعدي . اولئك يأتون يوم القيامة فرحين مستبشرين تستقبلهم اعمالهم كأحسن ماخلق الله وجهاً واطيبهم ريحاً يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان ليس عليهم حساب وهم الآمنون من عذاب الله المقربون الى افضل الثواب (وعنه) صلى الله عليه وسلم قال من زار العلماء فكأنما زارني ومن صافح العلماء فكأنما صافحني . ومن جالس العلماء فكأنما جالسني ومن جالسنى في الدنيا اجلسه الله ربي معي في الجنة (قال بزرجمهر) ليت شعري اي شئ أدرك من فاته العلم واى شئ فات من أدرك العلم (وقيل للاسكندر) مابال تعظيمك لمؤدبك اشد من تعظيمك لابيك قال لان ابي سبب حياتى الفانية ومؤدبي سبب حياتى الباقية (وعن) النبي صلى الله عليه وسلم ساعة من عالم يتكئ على فراشه ينظر في علمه خير من عبادة العابد سبعين عاما

﴿ فصل في موت العلماء ﴾ (قال) صلى الله عليه وسلم في تفسير قوله تعالى (أولم يروا أنا نأتي الارض ننقصها من اطرافها) قال ذهاب العلماء . وقال (عليه الصلاة والسلام) مثل العالم الذي في البلد كعين يروي منها اناس وينكل

منها اناس فبينما هم كذلك اذ غارت العين واحتاج الذين نكلوا الى الذين رووا (وعنه) صلى الله عليه وسلم قال ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس ولكن يقبضه بقبض العلماء فينقص العلم حتى اذا لم يترك عالما اتخذ الناس رؤساء جهالا فافتوا بغير علم فضلوا واضلوا (ولبعضهم)

الارض تحيا اذا ما عاش عالمها * متى يمت عالم منها يمت طرف
كالارض تحيا اذا ما النبت حل بها * فان أبي عاد في اكنافها التلف

الباب الثاني عشر

﴿ ومن فتنها ظهور آثار القيامة وأحكامها • وعجائب أشراط الساعة وأعلامها ﴾

﴿سؤال عن اشراط الساعة﴾ عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ رأيتم الناس قد ضيعوا الحق وأماتوا الصلاة واكثروا القذف واستحلوا الكذب واخذوا الرشوة وشيدوا البنيان وعظموا ارباب الاموال واستعملوا السفهاء واستحلوا الدماء وصار الكذب عندهم ظريفاً والعلم عندهم ضعيفاً والظلم فخراً والمساجد طرقاً وكثرت الشرط وحليت المصاحف وطولت المنازل وخربت القلوب من الدين وشربت الخمور وكثر الطلاق وموت الفجاءة وفشا الفجور وقول البهتان وحلفوا بغير الله وائتمن الخائن وخان الامين ولبسوا جلود الضأن على قلوب الذئاب فعندها قيام الساعة (وقال) صلى الله عليه وسلم اذا فعلت امتي خمس عشرة(٣) خصلة حل بها البلاء قيل وما هن يا رسول الله قال اذا كان المغنم دولا والامانة مغنما والزكاة مغرماً واطاع الرجل زوجته وعق امه وبر صديقه وجفا أباه وارتفعت الاصوات في المساجد وشربت الخمر ولبس الحرير واتخذت القينات وضربوا بالمعازف وشربوا من آنية الذهب والفضة ولعن

آخر هذه الامة أولها فارتقبوا عند ذلك ريحا حمراء وخسفا ومسخا وقال يأتى على الناس زمان يقال للرجل ما أصدقه وما أعقله ومافي قلبه من الايمان وزن ذرة (وقال) صلى الله عليه وسلم لايزداد الامر الا شدة ولا الدنيا الا ادباراً ولا الناس الا شحا ولا تقوم الساعة الاعلى شرار الناس ولا مهدى الا عيسى عليه السلام وقال يأتي على الناس زمان آلهتهم بطونهم وشرفهم متاعهم وفتنتهم نساؤهم ودينهم دراهمهم ودنانيرهم أولئك هم شر الخلق لاخلاق لهم عند الله قال ويكون أمراء خونة ووزراء فسقة يذوب قلب المؤمن في جوفه كما يذوب الملح في الماء مما يرى ولا يستطيع ان يغيره ويصدق الكاذب ويكذب الصادق وتكتفى النساء بالنساء فعليهم من أمتى لعنة الله عندها يأتي على أمتي قوم جثتهم جثة الناس وقلوبهم قلوب الشياطين ان تكلموا اقبلوا(١) وان سكتوا استباحوا لايرحمون صغيرا ولا يوقرون كبيرا عندها يغار على الغلام كما يغار على الجارية البكر ويخطب كما تخطب النساء ويهيأ كما تهيأ المرأة عندها تليهم الجبابرة يمنعون حقوقهم ويملؤن قلوبهم رعباً فلا ترى الا خائفا مرعوبا عند ذلك يرفع الحج فلا حج يحج كبار الناس للهوى وأواسط الناس للتجارة وفقراء الناس للمسئلة وقراء الناس للرياء والسمعة قال ويكون شر من هذا ثم ذكر حديث الدجال وفيه حديث طويل آخر (عن عيسى بن مريم) عليه الصلاة والسلام انه ذم الدنيا وقال انها قاتلة وكذلك تقتل أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال (٢) يتبرأ الوالد من ولده والولد من والده والاخ من أخيه والجار من جاره كل انسان يجر الى نفسه فقال حذيفة (٣) ومن

---

(١) كذا بالاصل وليس معناه واضحاً فليحرر اهـ

(٣) (قوله فقال حذيفة ومن شرائط ذلك الزمان الخ) كذا بالاصل ولعله محرف عن ومتى شرائط ذلك الخ فحرفه الكاتب فليحرر اهـ

شرائط ذلك الزمان قال اذا طولوا المنائر وزخرفوا المساجد وحلقوا الشوارب وقصروا قمصانهم وفسقت الرجال بالرجال والنساء بالنساء ولم يعرفوا حقي وحق أهل بيتي فعليهم من أمتي لعنة الله والملائكة والناس أجمعين فعند ذلك يأمر الله تعالى الارضين أن لاتنبت لهم وما تنبت لايبارك لهم فيه ولا يربح لهم تجارتهم ويكثر فيهم الربا ويجيئهم المطر والبرد في غير وقته وحينه هم مني براء وأنا منهم برىء (وقال) عليه الصلاة والسلام لاتقوم الساعة أو قال ان من أشراطها ان يرفع العلم ويظهر الجهل ويشرب الخمر ويظهر الزنا وتقل الرجال وتكثر النساء حتى يكون لخمسين امرأة قيم واحد قال يأتي على الناس زمان يخلق القرآن في قلوبهم يتهافت (١) تهافتا قيل وما تهافته قيل يقرأ أحدهم فلا يجد له ارادة في حلاوته اذا بدأ أحدهم فانها همته الاخرى وان عملوا الذنوب قالوا سيغفرلنا وان تركوا الفرائض قالوا لايعذبنا الله ونحن لانشرك به شيئا أمرهم رخاء لاخوف فيه (أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم) (وروي) ان جابر بن عبد الله رضي الله عنهما جاء الى عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه فقال اني رأيت في المنام ان ثيرانا كباراً يحلبون ثيرانا صغاراً قال ثم ماذا رأيت قال ورأيت أصناما على منابر يرى من أفواههم شرر النار قال ثم ماذا رأيت قال بساتين خضر على حافة نهر والنهر يابس لاماء فيه قال ثم ماذا رأيت قال طائرين رأيتهما خرجا من وكرهما ثم لم يعودا قال ثم ماذا رأيت قال مرضى يعودون أصحاء قال ثم ماذا رايت قال فرسا برأسين يأكل ولا يتغوط قال ثم ماذا رأيت قال كرباسا معلقا من السماء قد تعلق بطرف منه كل واحد فقال عليّ رضي الله عنه أما

(١) قوله يتهافت تهافتا الى قوله همته الاخرى كذا بالاصل وليس معناه واضحاً فليحرر اه

الثيران الذين يحلبون فهم الامراء يحلبون عامة الناس وأما الاصنام على المنابر فهو أن يجلس عليها من ليس لها بأهل وأما البساتين الخضر دونها النهر اليابس فهو العالم ظاهره عامر بالعلم وباطنه يابس من الفعل والعمل بالزهد وأما الطائران فهما الوفاء والامانة يخرجان من وكرهما ولا يرجعان الى يوم القيامة وأما المرضي يعودون الاصحاء فالفقراء يختلفون الى باب الاغنياء ولا يواسون وأما الفرس الذي برأسين يأكل ولا يتغوط فهو الغنيّ يأكل ولا يشكر وأما الكرباس فهو الاسلام (وسمعت) بعضهم يقول ان من اشراط الساعة ان تذهب الهيبة من الشيوخ ويذهب الحياء من النسوان وتذهب الامانة من التجار ويذهب العدل من السلاطين (وقال) صلى الله عليه وسلم هل فيكم من يريد أن يؤتيه الله علما بغير تعلم وهدى بغير هاد ويذهب الله عنه العمى ويجعله الله بصيرا قالوا بلى يارسول الله قال من قصر أمله يعطيه الله علما بغير تعلم وهدى بغير هاد ويذهب الله عنه العمى ويجعله بصيرا

الباب الثالث عشر

(من صبر على المصائب أدرك خيره ومناه • ومن رضي بالقضاء زال فقره ونال عناه)

(عن الحسن البصري) رضي الله تعالى عنه انه قال اذا نزل العبد في درجة الرضا طويت الصحف بينه وبين الله تعالى فلم يكتب عليه الشيء لان معاملته بينه وبين الله تعالى لا يعلمها الحفظة (لبعضهم)

وأصبر في ظلمات ليلي تجلدا * ضجيع رجاء أن يكون لي الفخر
وليس الفتى من ضاق في الصبر صدره * ولكنه من ضاق عن صدره الصبر

(وسمعت) ان شقيقا البلخي رحمه الله تعالى قال اذا أردت ان تكون في راحة فكل ما أصبت والبس ما وجدت وارض بما قضي عليك (وقيل)

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه فقال أين الراضون بالمقدور الساعون للمشكور عجبت لمن يؤمن بدار الخلود كيف يسعى لدار الغرور (قال) ابن أخي الاحنف بن قيس أصبت بمصيبة فشكوتها الى عمي الاحنف فاعرض عني ثم عدت اليه حتى فعلت ذلك مراراً كل ذلك وهو يعرض عني وأعود اليه فقال لى ذات يوم يا ابن أخي اذا نزلت بك مصيبة فاشكها الى الذي يملك كشفها ولا تشكها الى المخلوقين فانما الناس فيك أحد رجلين اما صديق أسأته واما عدو أشمته بشكواك اليه يا بنى أترى احدى عينيّ هاتين والله ما أبصرت سهلا ولا جبلا منذ أربعين سنة وما أعلمت بذلك زوجتي ولا أحدا من أهلي

(وعن عليّ بن الحسين) بن عليّ رضي الله عنهم قال اذا جمع الله الخلق يوم القيامة ينادي مناد ليقم أهل الفضل قال فيقوم ناس كثير فيقال لهم انطلقوا الى الجنة فتعرض لهم الملائكة فيقولون لهم أين تريدون قالوا نريد الجنة قالوا قبل الحساب قالوا نعم قالوا من أنتم قالوا نحن أهل الفضل قالوا وما كان فضلكم قالوا كنا اذا جهل علينا حلمنا واذا ظلمنا غفرنا واذا أسيء الينا صبرنا قالوا صدقتم ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين قال فينادي مناد ليقم أهل الصبر فتقوم ناس من الناس فيقال لهم انطلقوا الى الجنة فينطلقون فتعرض الملائكة لهم فيقولون لهم أين تريدون قالوا نريد الجنة قالوا قبل الحساب قالوا نعم قالوا ومن أنتم قالوا نحن أهل الصبر قالوا وما كان صبركم قالوا صبرنا أنفسنا على طاعة الله وصبرنا أنفسنا عن معاصي الله فيقال لهم صدقتم ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين ثم ينادي مناد لتقم جيران الله فتقوم ناس من الناس هم أقل من أولئك فيقال لهم انطلقوا الى الجنة فينطلقون فتعرض لهم الملائكة فيقولون لهم أين تريدون قالوا نريد الجنة قالوا قبل الحساب قالوا نعم قالوا ومن أنتم قالوا نحن جيران الله في داره قالوا وبم جاورتم

قالوا كنا نتحاب في الله ونتباذل في الله ونتزاور في الله قالوا صدقتم ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين (وعن مالك بن دينار) رضي الله تعالى عنه قال كانت امرأة تختلف الى مجلسي فقالت لي ذات يوم ماذا يعطي الله الصابرين من ثوابه فجعلت أعد عليها فقالت تعال معي أرك فأدخلتني في بيتها فاذا أنا بولدها أعمى أشل أصم كاللحم على التنور فقالت هذا ولدي كما ترى أخدمه ولا أشكو فقلت وهل خطر ببالك عافيته فقالت نعم فقلت لست من الصابرين فشهقت شهقة فماتت ورأيتها في المنام على سرير وعليها لباس حرير فقالت يامالك بن دينار أيأستني من الباب. ودخلتها بلا علم الحجاب (وعن عبد الواحد بن زيد) قال رأيت القيامة في النوم ورأيت قوماً يمرون على الصراط كالبرق فذهبت معهم فقيل لي مكانك يا عبد الواحد لست هناك ثم مرّ قوم على الصراط كالفرس الجواد فذهبت معهم فقيل لي ياعبد الواحد لست هناك فقمت في نومي بقيت مع الرجالة والمشاة فقيل لي في النوم ان أحببت ان تكون من جملة هؤلاء فاصبر على البلاء قال فابتلي عبد الواحد ببلاء كان اذا سلم عليه الناس سلموا عليه من باب داره ولايدخلون عليه من نتن رائحته فقيل له سل ربك العافية قال اني أخاف أن أخرج من جملة الاخوان والاخلاء اذا سألت ربي العافية من البلاء فما زال فيه حتى مات رحمة الله تعالى عليه (وعن أنس بن مالك) رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرني جبريل عليه الصلاة والسلام عن ربه عز وجل يقول الله تعالى اذا وجهت الى عبد من عبادي مصيبة في بدنه أو ماله أو ولده فاستقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيامة أن أنصب له ميزاناً أو أنشر له ديوانا

(وأنشدني الشيخ رحمه الله تعالى)

الصبر حلو وهو مر * والصبر لا يكرهه حر

جوهرة الصبر لها زينة * يحسدها الياقوت والدر

(وقال الآخر)

الصبر مفتاح كل خير * وكل شيء به يهون
فاصبر وان طالت الليالي * فربما ساعد الحرون
وربما نيل باصطبار * ماقيل هيهات أن يكون

(وقال) صلى الله عليه وسلم مايصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولا سقم ولا حزن ولا أذى حتى الهم يهمه الا يكفر عنه من سيئاته (وسمعت) بعضهم يقول توفي بعض رسل الملوك بدمشق في خلافة هشام وأصيب في جيب مدرعته لوح ذهب مكتوب فيه اذا زال الصبر افتقد الفرج واذا قل الشكر انقطعت الزيادة وليس شيء أحمد عاقبة من الصبر على البلاء والثقة بأن العسر يعقبه اليسر وأنشد

صبرت على بعض الاذى خوف كله * ودافعت عن نفسي بنفسي فعزت
وجرعتها المكروه حتى تدربت * ولو جرعته كله لاشمأزت
ألا رب ذل ساق للنفس عزة * ويارب نفس بالتذلل عزت
اذا ما مددت الكف ألتمس الغني * الى غير من قال اسألوني فشلت
أصبر نفسي ان في الصبر عزة * وأرضى بدنياي وان هي قلت

(وقال الآخر)

اني وجدت وفي الايام تجربة * للصبر عاقبة محمودة الأثر
وقل من جد في امر يطالبه * واستصحب الصبر الافاز بالظفر

(وقال) الله تعالى وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا فأخبر أنه انما اختارهم وجعلهم أئمة لصبرهم على حكمه . ومن جلالة الصبر قوله تعالى ان الله مع الصابرين والايمان كله صبر (وعن أنس) رضي الله عنه قال قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم ما تجرع عبد جرعتين احب الى الله تعالى من جرعة مصيبة محرقة ردها بصبر وحسن عزاء وجرعة غضب ردها بحلم وعفو وما قطرت من عبد قطرتان أحب الى الله من قطرة دموع في سواد الليل وهو ساجد وقطرة دم في سبيل الله وما خطا عبد خطوتين احب الى الله تعالى من خطوة الى صلاة فريضة او خطوة الى ذي رحم (وعن مطرف بن عبدالله) قال صليت في المقبرة ركعتين فرأيت صاحب القبر الذي كان مني قريباً يكلمني قال فقلت كيف من ههنا قال كل مسلم وكل قد اصاب خيرا قلت فأي قبر ههنا افضل فأشار الى قبر فقلت اللهم اخرجه الي فاذا هو فتى شاب قلت فبأي شيء نلت ذلك قال ابتليت بالمصائب ورزقت الصبر عليها فبذالك فضلت عليهم (ولبعضهم)

صبرا جميلا على مانال من حدث * والصبر ينفع أقواما اذا صبروا
والصبر أفضل شيء تستعين به * على الزمان اذا مامسك الضرر

(وقيل) الصبر أحجى بذي الحجا ومن كان في البلاء صابرا. كان الي مايهواه صائراً . والصبر ستر من الكروب . والصبر عون على الخطوب . والصبر مطية لاتكبو . والقناعة شرف لاينبو (وقال) صلى الله عليه وسلم انتظار الفرج بالصبر عبادة . وقال عليه الصلاة والسلام ياعلى لاترج الا ربك ولا تخف الا ذنبك ياعلى لاتستحي ان تتعلم مالا تعلم ولا تستحي اذا سئلت عن شيء لاتعلم ان تقول الله أعلم ياعلى ان منزلة الصبر من الايمان كمنزلة الرأس من الجسد ياعلى ان في الصبر ثلاث خصال من جاء بواحدة لم يقبل منه ياعلى الصبر على المصيبة والصبر على أمر الله والصبر عمانهي الله عنه من صبر على مصيبة أعطاه الله ثلاثمائة درجة ما بين كل درجة الى صاحبتها كما بين السماء والارض ياعلى من صبر على ما أمر الله تعالى أعطاه الله خمسمائة درجة مابين

كل درجة الى صاحبتها كما بين العرش الى الارض يأعلى من صبر عما نهي الله تعالى أعطاه الله سبعمائة درجة مابين كل درجة الى صاحبتها كما بين العرش الى الثرى (شعر)

سأودع ليلى ليلا طويلا * وأستشعر الصبر صبرا جميلا
والصبر بالرغم لا بالرضى * أخلص نفسي قليلا قليلا

الباب الرابع عشر

(من صبر بفرقة الاعزة والخلان ، فقد بقي في الهجران كالجيران)

(عن سويد بن غفلة) قال كانت عائشة الخثعمية تحت الحسن بن على رضي الله عنهما فطلقها وبعث اليها ببقية صداقها وهي ثمانية وعشرون ألف درهم فلما جاءها الرسول قالت متاع قليل من حبيب مفارق فاخبر الرسول الحسن رضي الله عنه فقال لولا ان الله تعالى يقول فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره لراجعتها

فوا عجبا ممن يمد يمينه * الى الفه عند الوداع فيسرع
ضعفت عن التوديع لما رأيته * فصافحته بالقلب والعين تدمع

{ وبلغنا } ان يعقوب النبي عليه الصلاة والسلام قيل له ماالذي أذهب بصرك قال حزني على يوسف قيل فما الذي قوس ظهرك قال حزني على أخيه فأوحى الله تعالى اليه يايعقوب أتشكوني وعزتي وجلالي لا أكشف مابك حتى تدعوني فقال عند ذلك انما أشكو بثي وحزني الى الله فقال له جبريل عليه الصلاةوالسلام علم(٣)ماتشكو يايعقوب فأوحي الله تعالى اليه لو كانا ميتين لاخرجتهما لك حتى تنظر اليهما وانما وجدت عليكم انكم ذبحتم شاة فقام ببابكم مسكين فلم تطعموه منها شيئا وان أحب خلقي الي الانبياء ثم المساكين

فاصنع طعاماً وادع اليه المساكين فصنع طعاماً وقال من كان صائماً فليفطر الليلة عند آل يعقوب (وعن بشر الحافي) رحمة الله عليه انه قال أشد مايعاقب الله به العبد في الدنيا ان يبتليه بفراق الاحبة (وقال بعضهم) سمعت ابن خالويه يقول قيل لابن جرير أرأيت قول أبيك

لو كنت أعلم ان آخر عهدهم * يوم الرحيل فعلت مالم أفعل

فما كان يفعل لو علم ذلك فقال كان يقلع حدقته ولا يرى موقف الفراق (وعن المبرد) قال ذكر لي ان رجلا من العرب كانت له جارية وكان بها معجبا وكان موسراً فانفق عليها ماله حتى ذهب مافي يديه وكان يأتي اخوانه فيسألهم وينفق عليها فبلغها ذلك فقالت لاتفعل ولكن بعني لعل الله يرزقنا اجتماعا فخرج بها الى عبد الله بن معمر وكان عامل فارس فعرضها عليه فاعجبته فقال له بكم تبيعها فقال له بمائة ألف درهم وهي خير من ذلك فلما دفع المال وقبضه الرجل وأراد ان يخرج أنشأت تقول

هنيأ لك المال الذي قد قبضته * فلم يبق في كفي الا تذكري
أقول لنفسي حين جاشت بغلتي * أقلي فقد بان الحبيب أو اكثري

فنظر اليها وبكى وأنشأ يقول

فلولا قعود الدهر عني لم يكن * يفرق ما بيني سوى الموت فاعذري
أروح بحزن من فراقك موجع * يناجي به قلب كثير التفكر
عليك سلام لازيارة بيننا * ولا وصل الا أن يشاء ابن معمر

فقال قد شئت فخذها والمال لك فانصرف ومعه الجارية ومائة ألف درهم .

فيارب حببني اليها واعطني الم * ودة منها أنت تعطي وتمنع
والا فصبرني وان كنت كارها * فاني بها ياذا المعارج مولع
الى الله أشكو لا الى الناس حبها * ولابد ان يشكو خليل مودع

(وقال) يوسف عليه الصلاة والسلام لاخيه الصغير حين دخل عليه فجعل ينظر ما تنظر اليّ قال خيراً فقال يوسف ومع الخيراني أرى نظراً ينبغي ان يكون له معنى قال نعم لقد فقد أبي أخاً لي ما رأيت من الناس أشبه به منك إنه كان أحسن من الشمس اذا طلعت قال له كيف كان وجدك عليه قال وجداً شديداً قال فهل تزوجت من بعده قال نعم قال فما شغلك الحزن على أخيك عن التزوج قال أردت أن لاأتزوج فقال لي الشيخ يعقوب يابني تزوج لعل الله ان يذرأ من صلبك ذرية تعمر الارض بتسبيحهم فتزوجت فقال له هل ولد لك ولد قال نعم ثلاثة بنين قال وأي شئ سميتهم قال أما أحدهم فسميته بأخي يوسف وأما الآخر فسميته ذئبا وأما الثالث فسميته دماً فقال له أما كان في أسماء آبائك من تسميهم بهم حتي ذكرت الدم والذئب فقال أيها العزيز انما سميتهم بهم لأن اخوتي زعموا أن أخي اكله الذئب فأردت أن لايخرج اسم الذئب من داري فكلما نظرت اليه بكيت وأما الدم فجاؤا على قميصه بدم كذب فقالوا هذا دم يوسف فأردت انلا يخرج اسم الدم من بيتي فقال له يوسف سل الملك بحق آبائك ابراهيم واسحاق ويعقوب أن يرحم ضعفك ويأمر برد اخيك عليك فقال ذلك فقال يوسف عليه الصلاة والسلام أنا يوسف وأنا أخوك فارتعد الغلام حتى كاد أن يسقط فالزمه اليه فسكن { قامت } واحدة من بنات يعقوب في حاجة لها فقال يعقوب اني لأجد ريح يوسف فلما رجعت من حاجتها قالوا لها أما تعجبين من هذا الشيخ وما قال قالت وما قال قالوا قال اني لأجد ريح يوسف قالت لئن كان قال هذا لقد صدق وما كذب أبي قط قالوا فشكر الله لها حين قالت هذه الكلمة فولدت أربعمائة نبي صلوات الله وسلامه عليهم (قالوا) وما انجي الله اخوة يوسف من شر مافعلوه الا بكلمة اذ قالوا وتكونوا من بعده قوما صالحين قال أجمعوا على التوبة .

(واشتري) يوسف بمصر وهو ابن ثلاث عشرة سنة بوزنه مسكا ووزنه دراً ووزنه حريراً وكان وزنه اربعمائة رطل ذلك اليوم (وشروه بثمن بخس) يعني عشرين درهما وبين فقد أبيه اياه ولقياه ثمانون عاماً (قال الشافعي) رضي الله عنه لا سرور يعدل صحبة الاخوان ولا غم يعدل فراقهم الغريب من فقد الفه لا من فقد منزله

واحسرة للفتى ساعة * يعيشها بعد أودائه
عمر الفتى لو كان في كفه * رمى به بعد أحبائه

{ قال } لما ودع الحسن اخاه معبداً اذ خرج الي فارس قال ابن لك دارا مفرقة بين الاحباب أحياء وأمواتاً { ولبعضهم }

لا خير في الصبر على كل ذا * شر بكم الصفو وشربي القذى
من علق الحب على قلبه * فارق ما يهوى وقاسى الاذى
لا حبذا الهجران من قادم * يغصني يومي ولا حبذا

{ وقال الآخر }

لا تلمني فليس مثلي يلام * لوم مثلي على البكاء حرام
منعونا من السلام وساروا * فأشارت فكان ذاك سلام

{ وقال الآخر }

اذا ارتاب بي اهلي لطول ترقبي * نجوم الدجا والليل لليل ينتمي
تسترت بالتنجيم فيك وانما * أدلس فيهم في صفات منجم
ومن لم ير التوديع لم ير موقفاً * هو الحشر في الجنات أو في جهنم

{ وقال الآخر }

قامت تودعني والدمع يغلبها * كما تميل نسيم الريح بالغصن
ثم استمرت وقالت وهي باكية * ياليت معرفتي إياك لم تكن

﴿وعن عبد الله النهرواني﴾ قال قدم لقمان الحكيم من سفره فلقيه

غلامه فقال ما فعل أبي قال مات قال الحمد لله ملكت أمري ثم قال ما فعلت أمي قال ماتت قال الحمد لله ذهب همي قال ما فعلت امرأتي قال ماتت قال الحمد لله جدد فراشي قال ما فعلت أختي قال قال ماتت قال الحمد لله سترت عورتي قال ما فعل أخي قال مات قال انقطع ظهري

﴿ الباب الخامس عشر ﴾

﴿ من قصد رد القسمة والقضاء • فقد شغل قلبه وجسمه بالعناء ﴾

(عن انس بن مالك) رضي الله عنه قال خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما أرسلني في حاجة قط فلم تتهيأ الا قال لو قضي لكان ولو قدر لكان﴿ وعن ابن عمر ﴾ رضي الله عنهما قال قالت أم سلمة يا رسول الله لا زال يصيبك ألم في كل عام من تلك الشاة المسمومة التي اكلت قال فما اصابني شئ منها الا وهو مكتوب علىّ وآدم عليه الصلاة والسلام في طينته (وعن انس بن مالك) رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مات حبر من بني اسرائيل فلما حملوه على مغتسله وجدوا في عنقه لوحاً من نحاس فيه ثلاثة اسطر • أولها الصمت سيد الاخلاق • والثاني من مزح استخف به والثالث من حمل الامور على القضاء استراح (وقال بشر الحافي) خرج فتى في طلب الرزق فبينما هو يمشي اذ أعيا فأوى الى خربة كي يستريح فيها اذ وقعت عيناه على لوحاً بيض فيه مكتوب

انی رأيتك قاعداً مستقبلي * فعلمت انك للهموم قرين
هوّن عليك وكن بربك واثقاً * ان التوكل شأنه التهوين
أرقص بها وتخل عن اثوابها * ان كان عندك بالقضاء يقين

(وقال) ما من يوم الا وتضحك أربعة على أربعة الاجل على الامل

والقضاء على الحذر . والقدر على التدبير . والقسمة على الحرص (ولبعضهم)

قدر الله واسع * حيث يقضي وروده ... قد مضى فيك حكمه
وانقضى مايريده ... فأرد ما يكون ان * لم يكن ما يريده

(وقال آخر)

قد كنت أعذل بالبطالة اهلها * وجهلت ماتأتي به الايام
واليوم أعذرهم وأعلم أنما * سبل الغواية والهدى أقسام
هون عليك يكون ماهو كائن * قضى القضاء وجفت الاقلام

(وقال الشافعي رضي الله تعالى عنه)

أفكر في نوى الفي وصبري * وأحمد همتي وأذم دهري
وما قصرت في طلب ولكن * لرب الناس أمر فوق أمري

(وقال الآخر)

فوق العقول تصرف الازمان * ما المرء الا لعبة الحدثان
سعى وجهد جاهد وتغلب * حالا بحال ثم كل فاني
ولربما اتفق المراد بأسره * للعاجز المأفون والمتواني
ماحيلة الانسان في مأموله * والعجز آخر حيلة الانسان
وكأنما حرص الحريص وجهده * سبب يؤديه الى الحرمان

(وقال أبو العباس الساري) كيف السبيل الى ترك ذنب كان عليك في اللوح المحفوظ مخطوطا . والى صرف قضاء كان به العبد مربوطا . ﴿وقيل﴾ كان عابد في بني اسرائيل فثقلت عليه العبادة وقال في نفسه اني ان لم أرميتا لا تعود نفسي الى العبادة فخرج من صومعته وصعد الجبل ونظر في المفازة فرأى ثلاثة أنفس بها فقصد نحوهم فلما قدم عليهم ودنا منهم فاذا هم اثنان ولم ير الثالث فسأل عن ثالثهما فقالا لدغته حية فمات منها فاذا هو منتفخ فقال هل له

من قرابة فقال أحدهما أنا أبوه وقال الآخر أنا أخوه فقال لوالده سبحان الله أولا تحزن على ولدك وهو قرة عينك قال وما يغنيني بكائي وحزني عليه وانما هو عارية وهو أحق بأخذ العارية مني وقال لأخيه أوما تحزن على أخيك قال فما ينفعني حزني عليه وانما مثلي معه كمثل قافلتين ارتحلت احداهما عند صلاة الظهر والأخرى عند صلاة العصر فقال لهما العابد فهل له قرابة غيركما قالا نعم والدة وزوجة ولعلك تراهما في بعض الطريق فمشى العابد فاذا هو بامرأة جميلة شابة فقال لها أجرك الله عز وجل قالت بمن قال بزوجك قالت ما أصابه قال لدغته حية ومات فبهتت ساعة وقالت انا لله وانا اليه راجعون ثم قالت الحمد لله ومشت فقال العابد ألا تبكين عليه وتحزنين بموته قالت وما ينفعني بكائي وحزني عليه انما مثلي ومثله كعودين مطروحين في الماء فألفهما الريح واجتمعا ثم جاءت ريح أخرى ففرقتهما ثم ذهب الى والدته فاذا هي عجوز فقال لها أجرك الله قالت بمن قال بابنك قالت وما أصابه قال لدغته حية فسكتت ساعة ثم قالت الحمد لله فقال سبحان الله أولا تجزعين على ولدك وانما هو ابنك وقرة عينك قالت وما ينفعني حزني وبكائي وانما مثلي ومثله كماء أنزله الله من السماء فاختلط به نبات الارض ثم جاء أمر الله تعالى فصار حصيدا كأن لم يكن قبل ذلك فذلك الخلق يولد ويموت ثم يبعث ثم يصير فريقين فريقا في الجنة وفريقا في السعير ثم قامت في تعبدها فرجع العابد الى صومعته وهو يقول حسبي حسبي حتى الممات وأنشد

ما أقرب الاشياء حين يسوقها * قدر وأبعدها اذا لم يقدر
فسل اللبيب تكن لبيباً مثله * من يسع في علم يلب ويظهر
وتدبر الامر الذي تعنى به * لا خير في علم بغير تدبر
فلقد يجد المرء وهو مقصر * ويخيب سعي المرء غير مقصر

(وللشافعي رضي الله تعالى عنه)

الجدّ يدني كل أمر شاسع * والجدّ يفتح كل باب مغلق
فاذا سمعت بأن محظوظا أتى * عوداً فأثمر في يديه فصدق
واذا سمعت بأن مكدودا أتى * ماء ليشربه فغاض فحقق
ومن الدليل على القضاء وكونه * بؤس اللبيب وطيب عيش الاحمق

(وقال آخر)

مجدّ كل حظ لا يجد * وما حرص الحريص له بمجدي
وكم عبد تقدم كل حر * وكم حر أقيم مقام عبد

«وعن عبد الله بن سلام» رضي الله عنه أن نبيا من الانبياء عليهم الصلاة والسلام شكا من بعض مانا له من المكروه فأوحى الله تعالى اليه لم تشكوني ولست بأهل ذم ولا شكوى أفتحب ان أعيد الدنيا لاجلك وأبدل اللوح بسببك فأقضي ماتريد دون ما أريد ويكون ماتحب دون ما أحب فبعزتي حلفت لئن تلجلج هذا في صدرك مرة أخرى لأسلبنك ثوب النبوة ولأوردنك النار ولا أبالي (ولبعضهم)

واذا تشاجرت الرما * ح فان أقلامي رماحي
وعليّ أن أسعى وليـ * ـس عليّ ادراك النجاح

(وعن الحارث المحاسبي) رحمة الله عليه . يقول عاقب الله يعقوب عليه الصلاة والسلام ثمانين سنة بفراق يوسف صلى الله عليه وسلم بقوله يابني لا تقصص رؤياك على اخوتك قال الله تعالى يايعقوب أتريد ان ترد قضائي (وأنشدوا)

وقد كتبت عيني بدمع مورد * على صفرة الخدين فى الشوق أسطرا
قنعت بما شاءت نفوس أحبتي * ومن فاته المطلوب يرضى بما يرى

(وقيل) ان شقيقاً البلخي اشترى بطيخة لأمه فلما قطعتها اذا هي غير طيبة فغضبت عليه فقال ياأماه على من تغضبين أعلى البائع أم على المشتري أم على الزارع أم على الله تعالى فأما البائع فوالله ماله ذنب وأما المشتري فوالله انه ليود أن تكون من اطيب ما يكون وأما الزارع فما له ذنب وانه ليود أن يكون أطيب البطيخ فما بقي غضبك الا على الذي خلقها ياأمة الله ارضي بقضاء الله وحكمه كي لا تكوني من المردودين والمطرودين فبكت وتابت ورضيت (وروي) ان موسى عليه الصلاة والسلام قال يارب أي عبادك أغنى قال أرضاهم بما قسمت له (ووجد) طير في قفص ينادي ويقول سبحان من طيرني في الهواء وصيرني في القفص سيكون الذي قضى سخط العبد ام رضى (قال ابو بكر النهاوندي) سمعت عمي يقول رأيت ابليس في المنام فقلت يامسكين مع طول خدمتك رضيت بالدنيا عنه عوضاً قال فاستعبر ثم قال تحسن أن تقرأ قلت بلى فاخرج عظما منقوراً فيه

هي المقادير تليني و القدر * ان كنت اخطأت فما اخطا القدر

(وقيل) المسلم من خالف هواه. واطاع مولاه . واتبع رضاه . ورضي بقضاه (وروي) أن ام سلمة كتبت الى عائشة رضي الله تعالى عنهما قد نزع الله من قوم عقولهم حتى يكون الذي يقضى على الناس

الباب السادس عشر

(الامير من قنع بالقليل عن الكثير . ومن لم يرض باليسير فهو أسير)

(عن علي بن أبي طالب) رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن آدم اكفل لي بثلاث اكفل لك بالجنة ان قنعت بما رزقك الله فأنت اغنى الناس وان انتهيت عما حرم الله عليك فأنت أورع الناس

وان عملت بما فرض الله عليك فأنت أعبد الناس (وقال يحي بن معاذ الرازي) صارت الاغنياء بترك القناعة فقراء مع كثرة المال وصارت الفقراء أغنياء بغير المال مع القناعة ﴿وقيل﴾ ان رجلا كان في سفر معه قرص من خبز فجعل يبكي ويقول ان أكلته مت فوكل الله به ملكا وقال له ان أكله فارزقه وان لم يأكله فلا ترزقه قيل فمات ولم يأكله . وقيل في معنى قوله تعالى ان الانسان خلق هلوعا ان الهلوع اسم بقرة وراء جبل قاف يخلق الله لها كل يوم مفازة من حشيش وحوضاً من ماء فتشبع وتروى وتبكي الى غدها اهتماماً لرزقها فضرب الله مثل ابن آدم بها (ولبعضهم)

من قنعت نفسه ببلغته * أضحى غنياً وظل ممتنعا
لله در القنوع من خلق * كم من وضيع به قد ارتفعا

﴿وسمعت بعضهم﴾ يقول بينما فتح الموصلي جالس مع أصحابه اذا بصبيين معهما رغيفان على رغيف أحدهما كامخ وعلى رغيف الآخر عسل فقال صاحب الكامخ لصاحب العسل أعطني من عسلك ملعقة فقال على أن تكون كلباً لي قال فجعل في فمه خرقة وجعل يقوده ويقول هو هو فالتفت فتح الموصلي الى أصحابه وقال لو قنع هذا بكامخه لم يصر كلباً لصاحب العسل (ولبعضهم)

اذا جعلت القنوع شاني * أتى من الرزق ما كفاني
فاستغن بالدهر عن فلان * وعن فلان وعن فلان

(وقال الآخر)

تصف القنوع وأينا يتقنع * أو أينا يرضى بما يتجمع
لله در ذوي القناعة انهم * تصفو معايشهم وقد تتوسع
من كان يبغي لا يكدر ثم أن * تهدى جوارحه فلا يتطمع
فقر النفوس بقدر حاجتها(٣) * وغنى النفوس بقدر مايتقنع

(وقال الآخر)

هوّن الدنيا ومافيها عليك * واجعل الهمّ لما بين يديك
ان هذا الدهر يدنيك الى * ملك الموت ويدنيه اليك
واجعل العدة ماعشت له * انما يأتيك احدى لياتيك
أنت محتاج فقير أبدا * دون أن ترضى بأدنى مالديك

(وقال الآخر)

الجوع يطرد بالرغيف اليابس * فعلى م تعظم حسرتي ووساوسي
والموت أنصف حين اعدل قسمة * بين الخليفة والفقير البائس

(وقال الآخر)

طلبت المستقر بكل أرض * فلم أر لي بأرض مستقرا
أطعت مطامعي فاستعبدتني * ولو أني قنعت لكنت حرا

{ وللامام الشافعي رضي الله تعالى عنه }

أمت مطامعي فأرحت نفسي * فان النفس ما طمعت تهون
وأحييت القنوع وكان ميتاً * ففي احيائه عرضي مصون
اذا طمع يحل بقلب عبد * علته مذلة وعلاه هون

(وقيل) الطمع ثلاثة أحرف كلها صفر الوسط (وقيل) من ملك ما يكفيه ثم تعرض سفيها طامعاً فيه، فالحجر بفيه (ورأى) بعضهم لصوصاً قد قطعوا الطريق وأخذوا أموال التجار وجعلوا يضربونهم ضرباً وجيعاً فقال شيخ مثل هؤلاء مع الفقراء مثل الزنبور مع النملة لان الزنبور قال للنملة يا ضعيفة ما شأنك وما طعامك قالت طعامي الحشيش ونبات الارض فما طعامك قال طعامي اللحم والشحم والكبد ثم قال لها ألا تجيئين معي الى ضيافتي فذهبت معه قال فدنا الزنبور من القصاب ووقع على اللحم فضربه القصاب ضربة فوقع ميتاً فوثبت

النملة واخذت قوائمه وقالت من أكل مثل هذا يجر مثل هذا ورجعت الى مكانها

(وقيل) من لزم الطمع ٠ عدم الورع ٠ والحسد شرّ عرض ٠ والطمع شرّ غرض

(قال محمد بن أبي الحواري) مررت براهب في صومعته فقلت له أفدنا فأنشأ يقول

كم يكون الشتاء ثم المصيف * وربيع يأتي ويمضي خريف

فانتقال من الحرور الى الظل وسيف الردى عليك مطيف

يا قليل البقاء في هذه الدنـ * ـيا الى كم يغرك التسويف

عجب لامرئ يذل لذي ما * ل ويكفيه كل يوم رغيف

(وقيل أنفذ عثمان بن عفان رضي الله عنه بمائة دينار الى أبي ذر الغفاري رضي الله عنه وقال لغلامه ان قبل ذلك فأنت حر فحملها اليه فلم يقبل فقال اقبل فهيه عتقي فقال أبو ذر ان كان فيه عتقك ففيه رقي (ووجد) في أربع كتب أربع حكم ٠ في التوراة من قنع شبع ٠ وفي الانجيل من ترك الشهوات استراح ٠ وفي الزبور من اعتزل سلم ٠ وفي القرآن من يعمل سوأ يجز به (وسمعت) بعضهم يقول ان فأرة من فأرات البيوت زارت فأرة في البرية مع البؤس والشدة فقالت لها ألا تحضرين بيتي فتري بيتنا محشواً من الحنطة والشعير وأنواع الاشياء وتري ما أنا فيه من النعمة فدخلت معها بيتها واذا صاحب البيت قد رصد لها واذا الرصد لبنة تحتها تمرة فأرادت اخذ التمرة فوقعت عليها اللبنة وبقيت تحتها ميتة قال فدنت منها الفأرة البرية متعجبة وهزت رأسها وقالت نعم كثيرة وحمل ثقيل وهربت الى مكانها في البرية قانعة (ووجدت) في كتاب أخي أن اربعة اخوة كانوا في معيشة واحدة فمضى اثنان منهم الى التجارة واثنان قنعا بما رزقا فمات أحد التاجرين في الطريق وقطع الطريق على الآخر فأنشد أحد القانعين

خرجنا في طلاب الرزق حولا * وخلفنا القناعة في الاقامه

فأبنا خائبين وقد سلمنا * وما خاب امرؤ رزق السلامه

الباب السابع عشر

(البلاء المنزل على البدن • من أشد المحن وأكبر الفتن)

(عن أبي هريرة) رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من أحد الا وبه أربعة عروق عرق العمى وعرق الجذام وعرق الفالج وعرق البرص فأما عرق العمى فان الله تعالى يقطعه بالرمد فاذا رمد أحدكم فليحمد الله وأما عرق الجذام فان الله يقطعه بالزكام وأما عرق الفالج فان الله يقطعه بالبلغم فاذا قذف احدكم فليحمد الله وأما عرق البرص فان الله يقطعه بالدمامل (وعن ابي بكر) رضي الله عنه انه قال يارسول الله كيف الصلاح بعد هذه الآية (من يعمل سوأ يجز به) وكل سوء عملناه يجزينا به فقال غفر الله لك يا أبا بكر ألست تحزن ألست يصيبك الاذى قال بلى قال هو ماتجزي به (وعن ابن عمر) رضي الله تعالى عنهما انه أصابه حجر وهو يرمي بالحجارة فشجه فقال ذنب بذنب والبادي أظلم (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم من حم ثلاث ساعات فصبر فيها شاكراً لله تعالى حامداً له باهي الله به ملائكته فقال ملائكتي انظروا الى عبدي وصبره على البلاء اكتبوا لعبدي براءة من النار قال فيكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله العزيز الحكيم براءة من الله عز وجل لعبدي فلان بن فلانة اني قد آمنتك من ناري وأوجبت لك جنتي فادخلها بسلام (وعن أبي عبيدة) قال مكتوب في التوراة يا ابن آدم أمرتك فتوانيت ونهيتك فتماديت يامن اذا مرض شكا وبكي واذا عوفي تمرد وعصى • وقال عليه الصلاة والسلام من أطعم مريضاً شهوته أطعمه الله من ثمار الجنة (وعن عليّ) رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل أيما عبد من عبادي ابتليته ببلاء على فراشه

فلم يشك الى عواده بدلته لحما خيراً من لحمه ودماً خيراً من دمه فان قبضته فالى رحمتي وان عافيته عافيته وليس له ذنب قيل يارسول الله لحم خير من لحمه قال لحم لم يذنب ودم لم يذنب (وقال) صلى الله عليه وسلم من قاد أعمى أربعين خطوة وجبت له الجنة وقال ضعفاء أمتي الاضراء (وعن عثمان بن أبي العاص) رضي الله عنه انه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بي وجع كاد يهلكني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم امسحه بيمينك سبع مرات وقل أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد قال ففعلت ذلك فأذهب الله عني فلم أزل آمر به أهلي وغيرهم (وقال) صلى الله عليه وسلم يصيح صائح يوم القيامة أين الذين أكرموا الفقراء والمساكين في الدنيا ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون ويصيح صائح أين الذين عادوا فقراء المؤمنين والمساكين في الدنيا فيجلسون على منابر من نور فيحدثون الله تعالى والناس في الحساب (لابن مقلة)

ذكرت شكاتك لي وكاسي في يدي * فمزجتها دمعاً مكان الماء
حاشاك من ألم وعارض علة * وكذا فدتك من الردى أحشائي
لقاك ربك صحة وسلامة * وفديت بي من سائر الأسواء

(وقال موسى) عليه الصلاة والسلام يارب من تظل تحت عرشك يوم لا ظل الا ظلك قال ياموسى الذين يعودون المرضى ويشيعون الهلكي ويعزون الثكلى (وكان) سهل بن عبد الله رحمة الله عليه اذا عاد احداً من أصحابه يقول له اذا اردت ان تشكو فقل آه آه فانه اسم من اسماء الله يستريح اليه المريض ولا تقل آخ فانه اسم من أسماء الشيطان (قال) وسمعت ابراهيم بن أدهم يقول مرض بعض العباد الاخيار مرضة فدخلت اليه أعوده فجعل يتنفس ويتأسف فقلت له على م تنفست وتأسفت رحمك الله قال ماتأسفي على البقاء في دار الاحزان والغموم والخطايا والذنوب فقلت له على ماذا فقال تأسفي على ليلة نمتها

ويوم أفطرته وساعة غفلت فيها عن ذكر الله عز وجل (وقيل) ان أعرابياً أتى عبد الله بن جعفر وهو محموم فأنشأ يقول

كم لوعة في الندى وكم قلق * للجود والمكرمات من قلقك
ألبسك الله منه عافيـــة * في نومك المبتغى وفي أرقك
أخرج من جسمك السقام كما * أخرج ذم البخيل من عنقك

قال فأمر له بألف دينار (وقال آخر)

قيل لي انك صدعت * وخالطت أذني حتى ذنبي
لابك السوء ولكن * كان بنفسي وأمي وأبي

(وسمعت) بعضهم يقول دخل رجل على مريض فأعرض عنه فأنشأ يقول

عليل لايعاد من الخساسة * له نفس تحيد عن النفاسة
دخلت أعوده فازورّ عني * كأني جئته لأدق راسه

(وعن أنس بن مالك) رضي الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا فقد الرجل من أصحابه ثلاثة أيام يسأل عنه فان كان غائباً دعا له وان كان شاهداً زاره وان كان مريضاً عاده ففقد رجلا من الانصار في اليوم الثالث فسأل عنه فقيل يارسول الله تركناه مثل الفرخ لايدخل في رأسه شيء الا خرج من تحته فقال صلى الله عليه وسلم لبعض أصحابه عودوا أخاكم قال فخرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نعوده وفي القوم أبو بكر وعمر فلما دخلنا عليه اذا هو كما وصف لنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تجدك قال لايدخل في رأسي شيء الاخرج من تحتي قال ومم ذلك قال يارسول الله مررت بك وأنت تصلي المغرب فصليت معك وأنت تقرأ هذه السورة القارعة ما القارعة قال فقلت اللهم ما كان لي من ذنب أنت معذبي عليه في الآخرة فعجل لي عقوبته في الدنيا فنزل بي ما نزل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

بئس ماقلت ألا سألت الله أن يؤتيك في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ويقيك عذاب النار فأمره النبي صلى الله عليه وسلم فدعا كذلك ودعا له النبي صلى الله عليه وسلم قال فقام كانما نشط من عقال قال فلما خرجنا قال عمر يارسول الله حضضتنا آنفا على عيادة المرضى فما لنا في ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المرء المسلم اذا خرج من بيته يعود أخاه المسلم خاض في الرحمة الى حقويه واذا جلس عند المريض غمرته الرحمة وغمرت المريض الرحمة وكان المريض فى ظل عرشه وكان العائد في ظل عرشه ويقول الله للملائكة كم احتبس عند المريض العواد قال يقولون أي رب فواقا وان كانوا (٣) قد احتبسوا فواقا فيقول الله عزوجل لملائكته اكتبوا لعبدي العائد ألف حسنة قيام ليلها وصيام نهارها واني لن أكتب عليه خطيئة واحدة قال فيقول الله عزوجل لملائكته انظروا كم (٤) قال فيقولون ساعة فيقول ان كانوا احتبسوا ساعة اكتبوا له دهرا والدهر عشرة آلاف سنة وان مات قبل ذلك دخل الجنة (وعن مالك بن دينار) قال دخلت على جار لي وهو مريض فقلت عاهد الله ان تتوب عسي أن يشفيك فقال هيهات يا أبا يحيي أنا ميت ذهبت أعاهد كما كنت أعاهد فسمعت قائلا من ناحية البيت يقول عاهدناك مراراً فوجدناك كذوبا ثم أنشدني

ان مع اليوم فاعلمن غداً * فانظر بما يقتضي مجيء غده

لم يرن طرف امرئ الى امل * الا وشيء يموت من جسده

(وعن أنس بن مالك) رضي الله عنه قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم وسأله عن قول أيوب مسني الضر فبكى النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال والذي بعثني بالحق نبياً ماشكا فقرا نزل به من ربه لكن كان في بلائه سبع سنين وسبعة أشهر وسبعة أيام وسبع ساعات فلما كان في بعض الساعات

وثب ليصلي قائماً فلم يطق النهوض من مجلسه ثم قال مسني الضر وأنت أرحم الراحمين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) أكل الدود سائر جسده حتى بقي عظاما نخرة وكانت الشمس تطلع من قلبه وتخرج من نخبه (٢) ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم مابقي الا قلبه ولسانه وكان قلبه لايخلو من ذكر الله عز وجل ولسانه لايخلو من ثنائه على ربه فلما أحب الله الفرج بعث اليه دودتين احداهما على لسانه والاخرى الى قلبه قال يارب مابقي الا هاتان الجارحتان قلبي ولساني أذكرك بهما وقد أقبلت هاتان الدودتان احداهما الى قلبي والاخرى الى لساني ليشغلاني عنك ويطلعا على سري مسني الضر (وقال) صلى الله عليه وسلم ان في الجنة لمنازل لاينالها العباد بأعمالهم ليس لها علاقة من فوقها ولا عماد من تحتها قيل يارسول الله وكيف يدخلها أهلها قال يدخلها أهلها شبه الطير قيل يارسول الله لمن تلك المنازل قال لاصحاب البلايا والهموم والامراض (وقال) صلى الله عليه وسلم الحمى حظ المؤمن في الدنيا من النار

الباب الثامن عشر

(منائح الدنيا مقرونة بالنوائح • ونوائبها منوطة بالمواهب والمنائح)

(في قوله) تعالى فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا قيل العسر الاول والثاني واحد واليسر الثاني غير اليسر الاول فانه عرف العسر في المرتين بالالف واللام وذكر اليسر في المرتين بحذف الالف واللام والمعرف اذا أعيد بأل كان عين الاول والمنكر اذا كرر كان غيره فكانه قال مع العسر الواحد يسران (وقيل) مر الحسن بن علي رضي الله عنهما على دارين فسمع

(١) قوله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكل الدود الخ في صحة هذا الحديث نظر فان الانبياء منزهون عن الادواء المنفرة كما هو منصوص في محله وليحرر اه

من أحداهما صوت المعازف، ومن الاخرى النياحة فوقف عليهما وأنشد

نياحات تجاوب من ديار * وأصوات المعازف من ديار
ففي حاليهما عجب ولكن * على الاقدار تختلف المجاري

(وقال آخر)

الدهر اثنان خريف وصر * والعيش عيشان لحلو ومر
والوقت وقتان لحر وقر * واليوم يومان لخير وشر
والناس اثنان فنذل وحر * نهار يزول وليل يكر
كذاك الزمان على ماترى * وكل السنين على ذا تمر

(وقال آخر)

فيوما ترانا في الثريد نسيغه * ويوما ترانا نأكل الخبز يابسا
ويوما ترانا في الخزو نجرها * ويوما ترانا في الحديد عوابسا
ويوما ترانا مكثرين أعزة * ويوما ترانا معدمين مفالسا
ويوما ترانا صاغرين أذلة * ويوما ذوى عز نزين المجالسا

(وقال آخر)

اذا ماراك الدهر يوما بنكبة * فهيء له صبرا ووسع لها صدرا
فان تصاريف الزمان عجيبة * فيوما ترى يسراً ويوما ترى عسراً

(وقال آخر)

خفض عليك ولا تكن قلق الحشا * مما يكون وعله وعساه
والدهر أقصر مدة مما ترى * وعساك أن تلقى الذي تخشاه

﴿ حكاية في الفرج بعد الشدة ﴾

(عن عوف الاعرابي) قال رأيت رجلا أبيض أصفر كأنه مضروب بالزعفران قال فقلت له مالك قال بي شأن من الشؤن قال فقلت ماشأنك قال

كنت في حبس الحجاج بن يوسف ومعي جماعة في الحبس فأمر باخراجنا لتضرب أعناقنا قال فضربت أعناق القوم وبقيت وادركنا المساء فامر بي أن أرد الى الحبس ليضرب عنقي في غد فبت بليلة لايعلم بها الا الله فبينا أنا نائم اذ أتاني آت في منامي فقال أينام مثلك والناس يبكون مصيبتك ثم قال قل قلت ماذا أقول قال قل يامن لايشغله شأن عن شأن أحاط علمه بما أراد عالم خفيات الامور ومحص لسرائر الصدور أنت منقذ الغرقى وأنت منجي الهلكى أنت محسن مجمل منعم متفضل صل على محمد وعلى آل محمد عجل اللهم فرجي في عافية قال فانشق الحائط وانفك القيد من رجلي وخرجت ولم يدر أحد بي فتغير لوني الذي رأيت من العجب وأنشد .

فبينا الفتى ضيق رحبه * وقد أمسك الهم منه النفس
أتيح له فرج عاجل * كضوء الصباح أزال الغلس

(وقال آخر)

توقع صنع ربك سوف يأتي * بما تهواه من فرج قريب
ولا تيأس اذا مانا ب خطب * فكم في الغيب من عجب عجيب

﴿ وعن جابر بن عبد الله ﴾ رضي الله عنهما انه قال دخلت على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وهو يوصي ابنه محمد ابن الحنيفة وقال يابني لا تلومن أحداً على طلب قوته فان من عدم قوته فقد عدم عقله ومله أهله وكان كثير كلامه وبالا عليه . يابني الفقير ضعيف حقير لا يسمع كلامه . ولا يعرف مكانه . تنقضي بالحسرات أيامه . وان كان حكيما فندوه وان كان عالما جهلوه . يابني ان الله تعالى قد أذل الدنيا بشيئين . فلولا الموت ما أذل الله كل جبار . ولولا الفقر ماخضع العبيد للاحرار . ثم أنشأ يقول

ان عضك الدهر فانتظر فرجا * فانه نازل بمنتظره

ان مسك العسر وابتليت به * فاصبر فان الرخاء في أثره
رب معافى شكا تقلبه * ومبتلى لاينام من سهره
وآخر في عشاء ليلته * دب اليه البلاء في سحره
من صحب الدهر ذم صحبته * ونال من صفوه ومن كدره

(وقال آخر)

أهم بشئ والليالي كأنها * تطاردني عن كونه واطارد
بعيد من الخلان في كل بلدة * اذا عظم المطلوب قل المساعد
بذا مضت الايام مابين أهلها * مصائب قوم عند قوم فوائد

(وقال آخر)

أتعجب مني في قيودي وأغلالى * وأنت رخيّ البال والعز والحال
فلا أنت تبقى بعد مال كسبته * ولا أنا أبقى في قيودي واغلالى

(وقيل) لما كثر استعمال سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام للجن والشياطين شكوا ذلك الى حكيم لهم فقالوا يكلفنا قطع البراري فقال احمدوا الله على انه ليس يكلفكم صعب العمل فبلغه ذلك فكلفهم البناء فجاؤه فشكوا ذلك اليه فقال احمدوا الله على انكم تعملون نهارا وتستريحون ليلا فبلغه ذلك فأمرهم به ليلا ونهاراً فرجعوا الى حكيمهم وشكوا اليه فقال احمدوا الله اذ تعملون متمكنين غير مستعجلين فبلغه ذلك فوكل عليهم من يحثهم ويستعجلهم فرجعوا اليه وأخبروه فقال احمدوا الله اذ تنقلون ماتنقلون ذاهبين فاذا انصرفتم استرحتم فكلفهم النزول بالصخور والصعود بالاساطين والجذوع فرجعوا الى حكيمهم وأخبروه فقال لهم قدتناهت بكم الشدة فانتظروا الفرج فمات سليمان عليه الصلاة والسلام تلك الليلة وتخلصوا من تلك الاعمال (وقيل) نعيم الدنيا يصفي ولا يصفوا «وأنشدوا»

الهم مالم يتضه لسبيله * داء تضمنه الضلوع مقيم
ولربما استيأست ثم أقول لا * ان الذي ضمن النجاح كريم

(وسمعته) يقول بتي واحد في بلاه . ثم نال مناه . فقال ان كنت تعنيت فقد نلت ماتمنيت

(قال صاحب الكتاب) أحوال الدنيا هي ان محاسنها تبيد . وملو كها عبيد والزاهد فيها سعيد . وهي خضرة ونبات . وروح وراحات . وبنون وبنات . ثم سقم وآفات . وهموم وبليات . وغموم وحسرات . وبلاء ونوائب . وشدائد وعجائب . هي قصر مقصور . ثم قبر مقبور . ووعور وغرور . وهم غدور . وفتن وشرور . ونور ثم ظلمة . وشهوة ثم حسرة . وانس ثم وحدة . وصحة ثم علة . وجسم جسيم . ثم عظم رميم . بقاء للموت . وعيش ثم فوت . ولباس وثياب . وقصور وقباب . وطرب وشراب . وانس وشباب . ثم وحشة وخراب . وأردية من تراب . ومناقشة وحساب . وتوبيخ وعقاب . ذات بهجة وزهرات . ورونق وصورات . ثم باد فمات . وهلك وفات . (وجدت) فى كتاب عن الصادق رضى الله عنه من طلب شيأ لم يخلق . أتعب نفسه ولم يرزق . فقيل له وماذاك يا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سرور يوم بتمامه (وأنشد بعضهم)

هل رأيت القرون كيف تفانت * درجت قبلنا وكانت وكانت
ان دنياك حية ملئت سما وان كانت الجسة لانت
كم أمور قد كنت شددت فيها * ثم هونتها على فهانت

(وقيل) من فرح في يوم . ترح في يوم . ومن ساءه يوم . سره يوم (وقال بعضهم)

ليس الفتي كل الفتى * الا الفتى فى أدبه
وحسن أخلاق الفتي * أولى به من نسبه
ومن يصاحب صاحبا * ينسب الى مستصحبه

والدهر ذو نائبة * تقصى الفتى عن أربه

الباب التاسع عشر

(نزول الشيب بعد الشباب • يخبر بالفناء وسرعة الذهاب)

(عن جابر) رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يرعو عند الشيب ولم يستحى ولم يخش الله في الغيب فليس لله حاجة (٣) (وأنشد بعضهم)

اني أرى رقم البلا * في فود رأسك قد نزل * وأراك تعثر دائبا
في كل يوم بالامل * والشيب والعلل الكثيرة من علامات العجل
فاعمل لنفسك أيها المغرور في وقت العمل

(وقال آخر)

نذير ولكنه ساكت * وضيف ولكنه شامت
واشخاص موت ولكنه * الى أن أضيفه ثابت

الباب العشرون

(من اشتغل بالخضاب بعد الشباب • فقد أقام شهود الزور عند الاصحاب)

(سئل) أنس بن مالك رضي الله عنه عن الشيب فقيل له ياأبا حمزة أوشين هو قال كلكم يكرهه (ورأى)بعض الحكماء رجلا مختضبا فقال ياهذا أعقبت شبابك بخضابك • قبل أن يدفنك الموت فى ترابك { وقيل } اذا شاع الشيب فلا المقراض يخفيه • ولا الخضاب يغنيه { وانشدوا }

تولى اللهو اذ فقد الشبابا * وزايله التصابي حين شابا
تبدل بالشباب النضر شيبا * يسوء رداؤه الحور الكعابا

خضبت الشيب لما كان عيبا * وخضب الشيب اولى ان يعابا
ولم أخضب مخافة هجر خل * ولا عيبا خشيت ولا عتابا
ولكن المشيب اتي ذميما * فصيرت الخضاب له عقابا

الباب الحادي والعشرون

(الشيب نور وضياء ونذير • وطى الاعمار دليل على الفناء والمسير)

(قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى وعزتى وجلالى وفاقة خلقي اني لاستحي من عبدي وأمتي يشيبان في الاسلام أن أعذبهما ثم بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا يارسول الله ما يبكيك قال ابكي ممن يستحى الله منه ولا يستحي من الله (وعن انس بن مالك) رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اكرم شاب شيخا لسنه الاقيض الله له عند كبر سنه من يكرمه (وقيل) لما نزل بابراهيم عليه الصلاة والسلام المشيب قال مرحبا بالعلم والحلم والحمد لله الذى أخرجني من الشباب سالما • {وانشد بعضهم}

نعى نفسى الى نفسي المشيب * وعند الشيب يتعظ اللبيب
وان كان الشباب مضي حبيبا * فان الشيب أيضا لى حبيب
سأصحبه بتقوي الله حتى * يفرق بيننا الاجل القريب

{ وقال بعض الحكماء } عظم الكبير فانه عرف الله قبلك وارحم الصغير فانه أعز بالدنيا منك وان الشيخ يقول عن عيان والشاب عن سماع { وعن عبد الله بن النحام(٣) }قال دخل على رسول الله صلي الله عليه وسلم وأنا أبيض الرأس واللحية كان بياض رأسي ثغامة فقال لي ياابن النحام ألا أحدثك في شيبك هذا بفضيلة فقلت بلى يارسول الله قال ان الله تعالى

يحاسب الشيخ يوم القيامـة حساباً يسـيراً ثم يدفع صحيفة ذنوبه الى رضوان خازن الجنة ويقول يارضوان اذا دخل عبدي هذا الجنة وتلذذ بعيشها ونسي يوم القيامة فادفع الصحيفة اليه فاذا هو بصر بها وتغير لونه وارتعدت فرائصه فقال له ياحبيبي لاتحزن فان ربك تعالى يقول لك استحييت من شـيبك ان أكافئك بها وانما سترتها لك لـكي تعلم انه لايخفى عليّ شيء في الارض ولا في السماء فأنا قد غفرتها لك (عن عمر بن حريث) قال دخـل على الهيثم بن الاسود فقلت له كيف تجدك قال أجـدني واللّه قد اسود مني ماكنت أحب ان يبيض مني وابيض مني ماكنت أحب ان يسود مني واشـتد مني ماكنت أحب ان يلين ولان مني ماكنت أحب ان يشتد وسأنبئك عن آيات الكبر تقارب الخطا وضعف البصر • وقلة الطعم اذا الزاد حضر • وكثرة النسيان فيما أتذكر • وترك القيام في وقت السحر • والناس يبلون كما يبلى الشجر (ونظر) أبو زيد رحمـه الله تعـالى في المرآة فرأي شيبة في لحيته فقال ظهر الشيب ولم يذهب العيب (وقيل) ان معاوية رضي اللّه تعالى عنه رأي شيخا قد كان يعرفه قديمـاً فقال له كيف أنت وحالك فقال ماتسأل عن حالي كثر مني ماكنت أحب ان يقل • وقل مني ماكنت أحب ان يكثر • وصعب عليّ ماكنت أحب ان يذل • وذل مني ماكنت أحب ان يصعب • واسود مني ماكنت أحب ان يبيض • وابيض مني ماكنت أحب ان يسود • ثقلت على الارض • وقرب بعضي من بعض • كثر سهوي • وتقارب خطوي • فنومي سبات • وسمعي هفات • وهمي مارات(٢) • فبكى معاوية وأمر له بصلة (وأنشد بعضهم)

قد ضـمني الشيب فأخفيته * وكل مقراضي فأعفيـته
حتى اذا استقصيت قصيّه * وقلت في نفسي أعفيـته
عارض من نفسـه عارض * كأني قد كنت ربيتـه

أروم ماليس له حيلة * عناني الشيب نخيلته

(وقالت) امرأة من العرب لرجل أين شبابك وجلدك فقال من طال أمده. وكثر ولده . ورق عدده . ذهب جلده . ياابن عشرين لايغرنك الدهر فقد تكسر الغصون الرطاب (وعن) علي رضي الله عنه قال من أتت عليه أربعون سنة يقال له خذ حذرك فانك غير معذور من حلول المحذور وليس ابناء الاربعين أحق بالحذر من ابناء العشرين فان الذي يطلبهما واحد . وليس عن طلبهما براقد . وهو الموت فاعمل لما أمامك من الهول . ودع عنك غرور القول (وكان) واحد يشرب وينادم قوما فدعوه يوما فلم يجبهم فقالوا مامنعك قال دخلت البارحة في أربعين وأنا أستحي من شيبتي {وأنشد بعضهم}

بلغت الاربعين وزدت عشرا * وصرت كأنني خلق مطرا
أزيد بلى خفيا كل يوم * وان هبت به ريح تهرا

(قال الشيخ الامام صاحب الكتاب)

يا أخا الاربعين قد نزل الشيـ * ـب فهل رد للشباب الخضاب
ياابن ستين كم وكم تمادى * والى كم يكون هذا العتاب
ياابن سبعين قد بقيت وعمر * ت ومات الاخوان والاصحاب

(وقال آخر)

قالوا أنينك طول الليل يسهرنا * ماذا الذي تشتكي قلت الثمانينا

الباب الثاني والعشرون

(من ازدحمت عليه المصائب والسرور . فلا حيلة له الا الرضا بالمقدور
ومن رضي بالمقدور . هانت عليه الامور .)

(بلغني) ان الاوزاعي كان عنده حديث وكان الناس يسمعونه

ويقصدونه من كل مكان ذكر انه كانت امراة وكان لها ثلاثة بنين فحضر يوم الاضحى فضحى بعلها بشاة فقال أحد الغلامين لاخيه تعال حتى أريك كيف ضحى والدي فأضجعه وأمر السكين على حلقه فذبحه فاضطرب الغلام اضطراباً شديداً فنظرت الوالدة الى القتيل فوضعت الطفل من حجرها وقامت اليه فهرب القاتل وحبا الطفل الى البرمة فقلبها على نفسه فأحرقته فجاء الوالد فقالت المرأة قد ذهب منا هذان الولدان فاطلب الهارب ومضى الغلام مما داخله من النزع والغم فافترسه السبع ومات الاب عطشاً في طلبه وما كانت للمرأة الا أخت فبلغها قصتها فانشقت مرارتها فماتت فاجتمع الى هذه المرأة رجال ونساء يعزونها فقالت لولا محن الدنيا والمصائب وبلاؤها لخرجنا من الدنيا مفاليس فلما أكثروا عليها أنشدت تقول

صبرت وكان الصبر خير مغبة * وأنجح شيء في الموازين يرفع
صبرت على ما لو تحمل بعضه * جبال شروري هول ذاك تقطع
وأصفيت صبري ساعة بعد ساعة * وبالله طب نفساً لعلك تنفع

﴿ وعن الاصمعي ﴾ قال كان في البادية رجل له ثلاثة بنين ما كان في العرب مثلهم فماتوا في يوم واحد فاذا هو يقول الشعر فقلت له يا شيخ مالك كأنك فقدت ثلاثة أعنز فقال ليسوا في الموت ببديع ولا أنا في المصيبة بأوحد ولا جلدي في الجزع على م تلومني (وقيل) لاعرابي كيف حالك قال كل شيء مني في ادبار الا ادباري فانه في النار . وأنشد بعضهم

اخط مع الدهر على ماخطا * واجر مع الدهر كما يجري
ليس لمن ليست له حيلة * موجودة خير من الصبر

﴿ حكاية ﴾

﴿ ووجدت ﴾ في كتاب انه كانت في بني اسرائيل امرأة عابدة تعلم بناتهم التوراة

فقالت لها تلميذة أريد التزوج فقالت أنا أقص عليك قصة فاذا سمعتها فان شئت فافعلي اعلمي اني كنت شابة جميلة ولي أقارب كثيرون ولنا أموال كثيرة وكنت في الجمال نادرة أهل زماني فرأيت يوماً في الطريق شاباً فعلق قلبي به فتزوج بي مكتوما فحملت منه وعلم بي أقربائي فهجروني وأخرجوني فبقيت معه وكان فقيراً محتاجاً وكنت أحفظه بالغزل فوضعت الحمل بابن وحملت مرة أخرى فبلغ فقرنا الى غاية فاستشرت الرجل وخرجنا الى سفر وخرجت معه راجلين ووضعت الابن على عنقي وواحد كان في بطني فخرجنا من البلد وسرنا فراسخ وأتينا وادياً فيه ماء كثير لم نقدر ان نجاوزه فبتنا في تلك الليلة على شط البحر فأخذني الطلق فنزل الولد مني ثم أخذني النوم فلما انتبهت رأيت حية سوداء تعدو فرأيتها قد ضربت زوجي وكان مريضاً فجعلته ماء أصفر فهلك فخفت واحتلت لا قوم فقمت ورفعت الولد الصغير فدخلت الماء ووضعته على شط النهر فوقع في الماء فغرق فلما اردت الرجوع جاء ذئب وأخذ الكبير فبقيت بلا ولد ولا زوج فرجعت الى البلد وكان قد وقع الحريق بالليل بناحية محلتنا فأحرق جميع أقربائي فما بقي منهم أحد فخرجت الى بلد آخر وحيدة فتزوج بي رجل آخر فوجدته فاسقاً وكان يشرب الخمر كلما خرج رجع سكران فحملت منه وكان قد خرج ليلة فأخذني الطلق فلما صرت في حدة الامر جاء وقرع الباب وهو سكران وكنت وحيدة فما قدرت ان افتح الباب ولا أن أتكلم فكسر الباب ودخل واخذ السكين وجعل ابني المولود قطعاً قطعاً وأخذ يداً منه وقال لي ان لم تأكلي هذا قطعتك بالسكين فمن خوفي أكلت ذلك العضو من ولدي فلما اصبح ندم على صنيعه فخرج فما رأيته بعد ذلك فخرجت أيضاً من تلك المدينة فوقعت في بلهة فدخلتها فرأيت عجوزاً على باب فجلست عندها فقصصت عليها القصة فرحمتني وأخذتني بين الامة

والبنت وعزمت أن لا أتزوج قط فكنت يوماً على سطح اذ سمعت صوت فرس من السكة فنظرت فاذا ابن الامير خارج الى الصيد فوقعت عينه عليّ فرغب فيّ وأخذ عن الصيد لجامه وقال للعجوز من هـذه قالت ابنتي قال زوجينها فزوجتني منه فكنت عنده أياماً في النعمة فمرض ابن الامير فمات وكان رسمهم اذا مات الزوج دفنوا زوجتـه معه حية في قبره فجعلت معه في القبر فريدة عريانة فبقيت فيـه يوماً وليلة في النتن فجاء ذئب وفتح فيه كوة ودخـل وخرجت أنا فكنت في تلك المفـازة عريانة آكل من الحشيش فرأيت جماعة من الناس ضلوا الطريق فرأوني وقالوا أجني أنت أم انسي قلت انسي ثم قلت من أنتم قالوا اتباع نبي من انبياء الله من بني اسرائيل ضللنا الطريق ثم قالوا عريانة أنت فأوقع أحدهم رداءه عليّ وجاءني وحملني الى البلد ثم علمت التوراة وصرت الى ههنا

﴿ حكاية ﴾

(وقيل) ان موسى عليه الصلاة والسلام قال يارب أرني ولياً من أوليائك فقال ياموسى اطلع الجبل واهبط الى الوادي تر ولياً من اوليائي فمر موسى الى أن وافى الى مرج فرأى بيتاً تحت الارض فنزل اليه ونظر الى انسان مجذوم كأنه قطعة لحم ملقاة فقال السلام عليك ياولي الله فقال عليك السلام ياموسى كليم الله فقال موسى من أين علمت أني كليم الله فقـال اني سألت الله منذ ليال ان يجمع بيني وبينك وانا رجل على هذه الحالة لا يقصدني احد في عيادة فعلمت أن الله قد اجابني فقال له موسى ياحبيبي من الذي يخدمك في هـذا الموضع ومن أين طعامك ومطعمك ومشربك فقال ان لي ولدا يمضي الى هذا الوادي في كل يوم ويجيئني بشيء من اصول البوري(٣) أفطر عليه فقال موسى عليه الصـلاة والسلام أحب أن أرى ولدك ههنا فوصف له الطريق فمضى

موسى عليه الصلاة والسلام الى اسفل الوادي فنظر الى غلام كاحسن ما يكون كانه فلقة قمر وهو يقلع من اصول البوري فبقي موسى ينظر اليه متعجباً من مثل ذلك الولد ومثل هذا الوالد فتبارك الله أحسن الخالقين فبينما موسى عليه الصلاة والسلام ينظر اليه متعجبا اذ وثب اليه سبع فافترسه قطعا قطعا فغضب موسى عليه الصلاة والسلام ورفع طرفه الى السماء فقال الهي وسيدي وليّ من أوليائك عليل مطروح على تلك الحالة وليس له خادم غير هذا الابن فسلطت عليه كلبك فقتله فأوحى الله اليه ارجع الى والده فوعزتي لترى بره ورضاه بذلك فرجع موسى عليه الصلاة والسلام الى أن وافي فسلم فقال له رأيت ولدي قال نعم قد قبضه الله تعالى فضحك فرحا ورفع طرفه الى السماء فقال الهي وسيدي انما كان لى فى الدنيا هذا الفتى وظننت أني أسبقه ويبقى خلفي فكيف أشكوك عليه ثم خر ساجدا ودعا ربه وقال الهي وسيدي ومولاي بعزتك وجلالك وارتفاع مكانك وبما كان بيني وبينك البارحة الا قبضت روحي في هذه السجدة فحركه موسى عليه الصلاة والسلام فاذا هو ميت فقال موسى الهي وسيدي في مثل هذا الموضع وليك ملقي وولده في الوادي فجاء جبريل عليه الصلاة والسلام بالكفن الخ الحكاية (وقال ابو بكر الوراق) رحمة الله عليه ابتلى اهل زماننا بستة بنعم القلوب . وتعب الابدان وزريئة المال . وجفاء الخلق . والتحير في الامور . وخلط الرأي . فقال من بعده تفسيراً لكلامه هذا انما ابتلوا بنعم القلوب لانهم لم يعرفوا الله . وتعب الابدان لانهم هربوا من الله . وزريئة المال لانهم لم يجمعوه لله . وجفاء الخلق لانهم لم يتولوا لله . والتحير في الامور لانهم لم يتبعوا كتاب الله والخلط . في الرأي لانهم لم يتقربوا الى الله

الباب الثالث والعشرون

(حكم الهواتف من عجائب الامور • وأخبارها من مكنونات الدهور)

(عن أمير المؤمنين علي) رضي الله عنه قال لما قبض النبي صلى الله عليه وسلم وسجي بثوب هتف هاتف من ناحية البيت يسمعون صوتا ولا يرون شخصاً السلام عليكم ورحمة الله وبركاته السلام عليكم أهل البيت فردوا عليه السلام فقال كل نفس ذائقة الموت ان في الله خلفا من كل هالك وعزاءً من مصيبة وتداركا من كل مافات فبه ثقوا واياه فارجوا فانما المصاب من حرم الثواب (وقيل) مر رجل بقصر عادي مكتوب على بابه

وجاء من الدهر لي مغنم * فأملي لي الدهر فيما زعم

فاذا هاتف يقول

كذاك الزمان وتكراره * وطول الليالي ومر القدم

يشيب الصغير ويفنى الكبير * ويبلى الشباب ويبدي الهرم

(وقال بعضهم) كنا مع ثابت البناني بين المقابر فقال انظروا اليها يعنى القبور فما أسكتها فسمع قائلا يقول لا يغرنك سكوتها فما أكثر المغمومين فيها *(وقيل)* مات الحسن بن الحسن فضربت امرأته على قبره فسطاطاً ومكثت على قبره حولا وانصرفت فسمعوا هاتفاً يقول ادركوا ماطلبوا فأجابه مجيب بل أيسوا فانصرفوا *(وقيل)* كان رجل بالكوفة عنده ابنة عم له وكان لها محباً فقال لها أتراك ان أنا مت تتزوجين فقالت ان هذا منك أخوف فتعاقدا أن لا يتزوج الباقي منهما بعد صاحبه فمات الفتى وبقيت بعده دهراً ثم أغراها الناس فتزوجت بابن عم لها فلما كانت ليلة بنائها سمعت هاتفاً يقول وكانت تسمى دبانا

حييت ساكن هذي الدار كلهم * الا الدبانا فاني لا أحييها

أمست عروساً وأمسي منزلي جدثاً * أمسيت فيه وأمست لا ألاقيها
قد كنت أحسبها للعهد حافظة * تموت وجداً وماجفت أماقيها
فاستبدلت بدلا غيري وقد علمت * أن القبور تواري من يوافيها

(وعن صالح المري) قال دخلت المقابر يوما في شدة الحر فنظرت الى القبور جامدة كأنها قد رضمت فقلت سبحان الله من يجمع أرواحكم بعد افتراقها واجسامكم ثم يحييكم من بعد طول البلى قال فنادى مناد من تلك الحفر ياصالح ومن آياته أن تقوم السماء والارض بأمره ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا أنتم تخرجون فسقطت والله لوجهي فزعاً من ذلك الصوت (وقيل) كان رجل مدمن خمر وكان يشرب فأعرض عن الشرب يوماً وكانت كنيته أبا عمرو فسمع هاتفاً يقول

قد جد بك الامر أبا عمرو * وأنت معتكف على الخمر * تشرب صهباء صراحية
سال بك السيل وماتدرى * شربت الخمر صبوحية * فمافعلت لو أخذت بالبكر

الباب الرابع والعشرون

(من لم يأمن نفسه المنايا . قدم في مهلته أحكام الوصايا)

(عن أبي هريرة) رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليعمل بعمل أهل الخير سبعين سنة واذا أوصى خان في وصيته فيختم الله له بشر عمله فيدخل النار وان الرجل ليعمل بعمل أهل الشر سبعين سنة فيعدل في وصيته فيختم له بخير فيدخل الجنة ثم قال أبو هريرة فاقرؤا ان شئتم تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار الى آخر الآية (وقيل) ان عمرو بن محمد قال تعبد غالب بن عبد الله وهو ابن سبع سنين ومات وهو ابن ثلاث وتسعين سنة ولم ير الا في مسجد

يعمره أو في بيت يسيره أو حاجاً أو غازياً قال دخلت عليه عند وفاته فدعا ابنه فقال لولا معرفتي بطول تهجدك في الليل الغابر الغاسق ما أوصيت اليك اذا رأيت غمرات الموت قد غلبتني فلقني شهادة أن لا أله الا الله فانه بلغني أنه مامن امرئ كان اخر زاده ذلك الا أوجب الله له الجنة واقرؤا عند رأسي سورة يس فانه بلغني أنها ماقرئت عند رأس امرئ من المؤمنين الموحدين الا سهل الله خروج نفسه فاذا أنا قبضت فسجني بثوب ولا تترك النساء يدخلن على ثم الجد الجد في جهازي وغسلني أنت وبالغ في غسلي واستر عورتي الخ (وعن ابن مسعود) رضى الله تعالى عنه انه قال دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت أمنا عائشة رضي الله عنها حين دنا الفراق فنظر الينا فدمعت عيناه صلى الله عليه وسلم ثم قال مرحبا بكم حيا كم الله آوا كم الله نصركم الله وأوصيكم بتقوى الله وأوصى بكم الله اني لكم منه نذير مبين وأن لا تعلوا على الله في بلاده وعباده وقددنا الاجل والمنقلب الى الله والى سدرة المنتهي والى جنة المأوي والى الكأس الاوفى فاقرؤا على أنفسكم وعلى من دخل في دينكم بعدي مني السلام ورحمة الله (ولما) احتضر الصديق رضي الله تعالى عنه جاءت عائشة رضي الله تعالى عنها فتمثلت بهذا البيت

لعمرك مايغني الثراء عن الفتي * اذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر

فكشف رضي الله تعالى عنه عن وجهه وقال ليس كذا ولكن قولي (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد) انظروا ثوبي هذين فاغسلوهما وكفنوني فيهما فان الحي الى الجديد أحوج من الميت (ودخل) عليه سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنهما يعوده فقال ياأبا بكر أوصنا فقال ان الله فاتح عليكم الدنيا فلا تأخذن منها الا بلاغك واعلم أن من صلى صلاة الصبح فهو فى ذمة الله فلا تخفرن الله في ذمته فيكبك في النار على وجهك

(ولما) ثقل أبو بكر رضي الله تعالى عنه وأراد الناس منه ان يستخلف فاستخلف عمر رضي الله تعالى عنه فقال الناس له استخلفت علينا فظا غليظاً فماذا تقول لربك فقال أقول استخلفت على خلقك خير خلقك ثم أرسل الى عمر رضى الله تعالى عنه فجاء فقال اني موصيك بوصية اعلم أن لله حقا في النهار لايقبله في الليل وان لله حقا في الليل لايقبله في النهار وانه لايقبل النافلة حتى تؤدي الفريضة وانما ثقلت موازين من ثقلت موازينهم يوم القيامة باتباعهم الحق في الدنيا وثقله عليهم وحق لميزان لايوضع فيه الا الحق ان يثقل وانما خفت موازين من خفت موازينهم يوم القيامة باتباعهم الباطل وخفته عليهم وحق لميزان لايوضع فيه الا الباطل أن يخف وان الله ذكر أهل الجنة بأحسن أعمالهم وتجاوز عن سيئاتهم فيقول القائل أنا دون هؤلاء ولا أبلغ مبلغ هؤلاء فان الله ذكر أهل النار بأسوأ أعمالهم ورد عليهم صالح الذي عملوا فيقول القائل أنا أفضل من هؤلاء وان الله ذكر آية الرحمة وآية العذاب ليكون المؤمن راغبا راهبا ولا يلقى بيديه الى التهلكة ولا يتمنى على الله غير الحق فان حفظت وصيتي هذه فلا يكون غائب أحب اليك من الموت ولابد لك منه وان ضيعت وصيتي فلا يكون غائب أبغض اليك من الموت ولا بد لك منه ولست بمعجزه

(وفي وصية النبي) صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه ياعلي من لم يحسن وصيته عند موته كان نقصاً في مروءته ولم يملك الشفاعة (وفي وصيته) صلى الله عليه وسلم لابن مسعود رضى الله تعالى عنه ياابن مسعود من شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه فان النور اذا وقع في القلب انشرح وانفسح فقيل يارسول الله فهل لذلك من علامة فقال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله فمن زهد الدنيا قصر أمله فيها وتركها لأهلها . ياابن مسعود من اشتاق الى الجنة سارع

الى الخيرات ومن خاف النار ترك الشهوات ومن ترقب الموت أعرض عن اللذات ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات . ياابن مسعود ان شئت نبأتك بأمر نوح نبي الله عليه الصلاة والسلام انه عاش ألف سنة الا خمسين عاما يدعو الى الله فكان اذا أصبح قال لاأمسي واذا أمسي قال لا أصبح وكان لباسه الشعر وطعامه الشعير وان شئت نبأتك بأمر داود خليفة الله عليه الصلاة والسلام في الارض كان لباسه الشعر وطعامه الشعير وان شئت نبأتك بأمر سليمان عليه الصلاة والسلام مع ما كان فيه من الملك كان يأكل الشعير ويطعم الناس الحواري وكان لباسه الشعر وكان اذا جنه الليل شد يده الى عنقه فلا يزال قائما يصلي حتى يصبح وان شئت نبأتك بأمر ابراهيم خليل الرحمن عليه الصلاة والسلام كان لباسه الصوف وطعامه الشعير وان شئت نبأتك بأمر يحي عليه الصلاة والسلام كان لباسه الليف وكان يأكل ورق الشجر وان شئت نبأتك بأمر عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام فهو العجب كان يقول ادامي الجوع وشعاري الخوف ولباسي الصوف ودابتي رجلاي وسراجي بالليل القمر واصطلائي في الشتاء مشارق الشمس وفاكهتي وريحانتي بقول الارض مما يأكل الوحوش والانعام أبيت وليس لي شئ وأصبح وليس لي شئ وليس على الارض أحد أغني مني . ياابن مسعود انهم يبغضون ماأبغض الله ويصغرون ماصغر الله ويزهدون مازهد الله وقد أثنى الله عليهم في محكم كتابه فقال لنوح (انه كان عبداً شكورا) وقال لابراهيم (واتخذ الله ابراهيم خليلا) وقال لداود (انا جعلناك خليفة في الارض) وقال لموسى عليه السلام (وكلم الله موسى تكليما) وقال أيضاً لموسى (وقربناه نجيا) وقال ليحي عليه السلام (وآتيناه الحكم صبيا) وقال لعيسى عليه السلام (ياعيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك اذ أيدتك بروح القدس

تكلم الناس في المهد وكهلا) الى قوله (واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني)
وقال (انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين)
(وفي وصية) النبي صلى الله عليه وسلم لأبي ذر ياأبا ذر اغتنم خمساً قبل خمس
شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل
شغلك وحياتك قبل موتك . ياأبا ذر اياك والتسويف بمملك فانك بيومك
ولست بما بعده فان يكن غد لك فكن في الغد كما كنت في اليوم وان لم
يكن غد لك فلا تندم على مافرطت في اليوم . ياأبا ذر كم من مستقبل يوما
لايستكمله ومنتظر غداً لايبلغه . ياأبا ذر لو نظرت الى الاجل ومسيره
لابغضت الامل وغروره . ياأبا ذر كن في الدنيا كانك غريب أو عابر سبيل
وعد نفسك من أصحاب القبور . ياأبا ذر اذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء
واذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح وخذ من صحتك قبل سقمك ومن
حياتك قبل موتك فانك لاتدري مااسمك غدا . ياأبا ذر ان لم تدرك الصرعة
قبل العثرة فلا تقال العثرة ولا تمكن من الرجعة ولا يحمدك من خلفت بما
تركت ولا يعذرك من تقدم عليه مما اشتغلت به . ياأبا ذر كن على عمرك
أشح منك على درهمك وديناركء . ياأبا ذر ان حقوق الله جل ثناؤه أعظم من
ان يقوم بها العباد وان نعم الله أكثر من ان يحصيها العباد ولكن أمسوا
وأصبحوا تائبين . ياأبا ذر انك في ممر الليل والنهار في آجال منقوصة وأعمال
محفوظة والموت يأتي بغتة ومن يزرع خيرا يوشك ان يحصد خيرا ومن يزرع
شرا يوشك أن يحصد ندامة ولكل زراع مثل مازرع لايسبق بطئ لحظة
ولا يدرك حريص مالا يقدر له ومن أعطى خيراً فالله أعطاه ومن وقى شراً
فالله وقاه . ياأبا ذر المتقون سادة والفقهاء قادة ومجالستهم الزيادة ان المؤمن
ليرى ذنبه كانه صخرة يخاف ان تقع عليه وان الكافر ليرى ذنبه كانه ذباب

مر على أنفه. يا أبا ذر ان الله تبارك وتعالى اذا أراد بعبد خيرا جعل ذنوبه بين عينيه واذا أراد بعبد شرا أنساه ذنوبه لا تنظر الى صغر الخطيئة ولكن انظر الى من عصيت

﴿ الباب الخامس والعشرون ﴾

(من امتطى متن الحرص ورمل به في ميدان غرور الامل • عسف به عن منهج السداد وأنساه ذكرها ذم اللذات وقاصف عود الاجل)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أكثروا من ذكر هاذم اللذات) قال بعض أهل العرفان رحمه الله معناه نغصوا بذكره اللذات حتى ينقطع ركونكم اليها فتقبلوا على الله تعالى. وقال صلى الله عليه وسلم لو تعلم البهائم من الموت مايعلم ابن آدم ما أكلتم منها سمينا • وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها يارسول الله هل يحشر مع الشهداء أحد قال نعم من يذكر الموت في اليوم والليلة عشرين مرة. قال بعض الكمل وانما سبب هذه الفضيلة كلها أن ذكر الموت يوجب التجافي عن دار الغرور ويتقاضى الاستعداد للآخرة والغفلة عن الموت تدعو الى الانهماك في شهوات الدنيا (وقال صلى الله عليه وسلم) تحفة المؤمن الموت • وانما قال هذا صلى الله عليه وسلم لان الدنيا سجن المؤمن اذ لا يزال مدة حياته فيها في عناء من مقاساة تذليل جماح نفسه ورياضة شهواته ومدافعة شيطانه فالموت اطلاق له من هذا العذاب والاطلاق تحفة في حقه (وقال صلى الله عليه وسلم) الموت كفارة لكل مسلم. وقد أراد صلى الله عليه وسلم بهذا المسلم حقا المؤمن صدقا الذي يسلم المسلمون من لسانه ويده ويتحقق فيه اخلاق المؤمنين ولم يتدنس من المعاصي الا باللمم والصغائر فالموت يطهره منها ويكفرها بعد اجتنابه الكبائر واقامته الفرائض (وقال

عطاء الخراساني) مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمجلس قد استعلى فيه الضحك فقال شوبوا مجلسكم بذكر مكدر اللذات قالوا وما مكدر اللذات قال الموت (وقال أنس رضي الله تعالى عنه) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثروا من ذكر الموت فانه يمحص الذنوب ويزهد في الدنيا (وقال) صلى الله عليه وسلم كفى بالموت واعظا (وخرج) رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسجد فاذا قوم يتحدثون ويضحكون فقال اذكروا الموت أما والذي نفسي بيده لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيراً (وقال ابن عمر رضي الله تعالى عنهما) أتيت النبي صلى الله عليه وسلم عاشر عشرة فقال رجل من الانصار من اكيس الناس وأكرم الناس يارسول الله فقال أكثرهم ذكرا للموت وأشدهم استعدادا له أولئك هم الاكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة (وقد ورد) أن عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه كان يجمع الفقهاء كل ليلة فيتذاكرون الموت والقيامة والآخرة ثم يبكون حتى كأن بين أيديهم جنازة (وكان ابراهيم التيمى) رحمه الله يقول شيآن قطعا عني لذة الدنيا ذكر الموت والوقوف بين يدي الله عز وجل (وقال كعب الاحبار) رضي الله تعالى عنه من عرف الموت هانت عليه مصائب الدنيا وهمومها (وورد) أن صفية رضي الله تعالى عنها قالت ان امرأة اشتكت الى عائشة رضي الله تعالى عنها قساوة قلبها فقالت لها اكثري ذكر الموت يرق قلبك ففعلت فرق قلبها فجاءت تشكر عائشة رضي الله تعالى عنها (وروى) ان عيسى عليه الصلاة والسلام كان اذا ذكر الموت عنده يقطر جلده دما (وكان) داود عليه الصلاة والسلام اذ ذكر الموت والقيامة يبكي حتى تنخلع أوصاله فاذا ذكر الرحمة رجعت اليه نفسه (وقال الحسن) رضي الله تعالى عنه ما رأيت عاقلا قط الا أصبته من الموت حذرا وعليه حزينا (وقال)

مطرف بن عبد الله بن الشخير ان هذا الموت قد نغص على أهل النعيم نعيمهم فاطلبوا نعيما لا موت فيـه (وقال عمر بن عبـد العزيز) رضي الله تعالى عنـه لعنبسة اكثر ذكر الموت فان كنت واسع العيش ضيقه عليك وان كنت ضيق العيش وسعه عليك (وقال سعيد بن المسيب) لما احتضر أبو بكر رضي الله تعالى عنه أتاه ناس من الصحابة فقالوا ياخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم زودنا فانا نراك لمابك(٣)فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه من قال هؤلاء الكلمات ثم مات جعل الله روحه في الأفق المبين قالوا وما الأفق المبين قال قاع بين يدي العرش فيه رياض الله وأنهار وأشجار يغشاه كل يوم مائة رحمة فمن قال هذا القول جعل الله روحـه في ذلك المكان . اللهم انك ابتـدأت الخلق من غير حاجة بك اليهم ثم جعلتهم فريقين فريقاً للنعيم وفريقاً للسـعير فاجعلني للنعيم ولا تجعلني للسعير اللهم انك خلقت الخلق فرقا وميزتهم قبل أن تخلقهم فجعلت منهم شقياً وسعيداً وغويا ورشـيداً فلا تشقني بمعاصيك اللهم انك علمت ماتكسب كل نفس قبل أن تخلقها فلا محيص لها مما علمت فاجعلني ممن تستعمله بطاعتك اللهم ان أحدا لايشاء حتى تشاء فاجعل مشيئتك أن أشاء مايقربني اليك اللهم انك قـدرت حركات العباد فلا يتحرك شيء الا باذنك فاجعل حركاتي في تقواك اللهم انك خلقت الخير والشر وجعلت لكل واحد منهما عاملا يعمل به فاجعلني من خـير القسمين اللهم انك خلقت الجنة والنار وجعلت لكل واحدة منهما أهلا فاجعلني من سكان جنتك اللهم انك أردت بقوم الضلال وضيقت به صدورهم فاشرح صدري للايمان وزينه في قلبي اللهم انك دبرت الأمور وجعلت مصيرها اليـك فأحيني بعـد الموت حياة طيبة وقربني اليـك زلفى اللهم من أصبح وأمسى ثقتـه ورجاؤه غيرك فأنت ثقتي ورجائي ولا حول ولا قوة الا بالله قال أبو بكر رضي الله تعـالى عنه هذا كله

في كتاب الله عز وجل اه (وقال الحسن البصري) رحمة الله عليه ان امرأ ليس بينه وبين آدم أب حي لحقيق أن يهاب الموت (وقيل) اوحى الله تعالى الى آدم عليه الصلاة والسلام انك عصيتني وتركت أمري واني أفعل بك وبذريتك أربعة أشياء فبكى وقال إلهي ماهي قال كل مولود يولد لهم أميته وكل عمران لهم فاني أخربه وكل حبيب لهم فاني أفرقه وكل جمع لهم فاني ابدده (وعن سعيد بن جبير رضي الله تعالى عنه) قال دخل ملك الموت عليه الصلاة والسلام على ابراهيم صلى الله عليه وسلم وقال اني أمرت بقبض روحك فقال دعني حتى يدخل عليّ اسحاق قال فتركه فدخل اسحاق فاعتنقه ابراهيم عليهما الصلاة والسلام وجعل يبكي فعرج ملك الموت فقال يارب ان خليلك شق عليه الموت فقال له اقبضه في منامه (وقيل) ان ابراهيم قال أداع أنت أم ناع قال ناع قال هل رأيت خليلا يميت خليله قال فذهب ملك الموت ثم عاد اليه فقال ياابراهيم هل رأيت حبيبا يكره لقاء حبيبه فقال ياملك الموت الآن فاقبض روحي (وأنشد بعضهم)

للمنايا رحي علينا تدور * كلنا جاهل بها مغرور
رحم الله من بكى للخطايا * كل باك لذنبه معذور
ليت شعري كيف أنت اذاما * ذرّ في حر وجهك الكافور
ليت شعري كيف أنت اذاما * ظل في الارض قبرك المقبور

(وقيل) للحسن رحمه الله تعالى قد كثر الموت قال لايغلط بأحد فقيل له بعد ذلك قد كف قال لا يبقى لاحد (وعن بعضهم) قال رأيت بنداراً القاضي في المنام وهو يتبختر ويقول

ألحقنا المـوت بآبائنا * وكل من عاش يوماً يموت

(وعن) الاعمش رحمه الله تعالى انه قال كان ملك الموت عليه السلام يظهر

للناس فيأتي الرجل فيقول اقض حاجتك فاني أريد ان أقبض روحك قال فشكا الناس من ذلك فانزل الله عز وجل الداء وأنزل الموت خفية (وعن) أنس رضى الله عنه قال خطبنا رسول الله صلي الله عليه وسلم على ناقته الجدعاء وليس (٣) بالعضباء فقال كأن الموت على غيرنا كتب . وكأن الحق فيها على غيرنا وجب . وكان الذي يشيع من الاموات سفر عما قليل الينا عائدون . نبوؤهم اجداثهم . ونأكل تراثهم كانا مخلدون بعدهم قد نسينا كل واعظة . وأمنا كل جائحة . طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وانفق ما اكتسبه من غير معصية . ورحم اهل الذل والمسكنة . وخالط أهل التفقه والحكمة . طوبى لمن ذل في نفسه . وحسنت خليقته . وصلحت سريرته . طوبى لمن عمل بعلم . وانفق الفضل من مال . وأمسك الفضل من قول ووسعته السنة ولم يعدل عنها الى بدعة (وعن) ابن عباس رضي الله عنهما قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ألا توصيني بوصية لعل الله أن ينفعني بها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلى فاقعد يامن الموت غايته يامن القبر بيته يامن التراب لحافه يامن اللبن ستره يامن منكر ونكير زواره يامن ملك الموت غدا ضيفه ولا ينطلق حتى يشخص به أيها المودّع غدا ماله أيها المزوج غدا عرسه أيها المورث غدا كسبه . كم من مستقبل يوما لا يستكمله ومنتظر غدا لا يبلغه لو نظرتم الى الاجل ومسيره لابغضتم الامل وغروره ثم قال ثم فقد أوصيت

(وللشافعي رضى الله تعالى عنه)

انى أري نفسي تتوق الى مصر * ومن دونها أرض المهامه والقفر
فوالله لاأدرى ألفقر والغنى * أساق اليها أم أساق الى قبري

﴿ وقال آخر ﴾

وكان لنا أصدقاء كثير * وأعداء سوء فما خلدوا

فأسقوا جميعاً بكاس المنون * فمات الصديق ومات العدو

(وقد انشدوا في أهل القبور)

قف بالقبور وقل على ساحاتها * من منكم المغمور في ظلماتها
ومن المكرم منكمو في قعرها * قد ذاق برد الامن من روعاتها
أما السكون لذى العيون فواحد * لايستبين الفضل في درجاتها
لوجاوبوك لأخبروك بألسن * تصف الحقائق بعد من حالاتها
أما المطيع فنازل في روضة * يفضي الى ماشاء من دوحاتها
والمجرم الطاغي بها متقلب * في حفرة يأوى الى حياتها
وعقارب تسعى اليه فروحه * في شدة التعذيب من لدغاتها

(وقال مالك بن دينار) رحمه الله تعالى مررت بالمقبرة فأنشأت أقول

أتيت القبور فناديتها * فأين المعظم والمحتقر
وأين المدل بسلطانه * وأين المزكي اذا ماافتخر

قال فنوديت من بينها أسمع صوتا ولا أرى شخصاً وهو يقول

تفانوا جميعاً فما مخبر * وماتوا جميعاً ومات الخبر
تروح وتغدو بنات الثرى * فتمحو محاسن تلك الصور
فياسائلي عن أناس مضوا * أمالك فيما ترى معتبر

قال فرجعت وأنا باك (وقيل) ان معاذا لما طعن فجعلت سكرات الموت تغشاه ثم يفيق الافاقة فيقول خنقتني خنقاتك . فوعزتك انك تعلم ان قلبي يحب لقاءك . اللهم انك تعلم اني لم أكن أحب البقاء في الدنيا لجري الانهار ولا لغرس الاشجار ولكن لمكابدة الساعات . وظمأ الهواجر ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر (وأنشد بعضهم)

فرجي الخير وانتظري ايابي * اذا ما القارظ العربي آبا

فمن يك سائلا عن بيت بشر * فان له بجنب الرده بابا
ثوى في ملحد لابد منه * كفى بالموت نأيا واغترابا

الرده جمع الردهة وهي نقرة في صخرة يستنقع فيها الماء والعرب تقول فلان شيطان الردهة أى شيطان ذلك المكان وربما جمعوا فقالو رده وردّه ورداه (قال كعب الاحبار) رضي الله تعالى عنه لما خلق الله تعالى الموت على شبه كبش أملح قال له اذهب الى صفوف الملائكة على هيئتك ناشرة الاجنحة فاتحة الاعين قال ففعل فلم يبق ملك في السموات الا غشى عليه ألف عام (قال الشيخ الامام) الهي ذهبت حياتي . ودنت وفاتي . وكاني لاحق باخواني . وكاني بالمقابر فريد . فيها قبري . اسكنت في ظلمة لحدي . وكأني نقلت الى الآخرة .

الباب السادس والعشرون

(موت الاعزة والاولاد . صدع في الفؤاد وحرقة الاكباد .)

(عن أنس) رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وضع ابراهيم في حجره وهو يحرك شفتيه فقال لولا انه موعد صادق ووعد جامع وان الماضي فرط الباقي وان الآخر لاحق بالاول لحزنا عليك ياابراهيم ثم دمعت عيناه فقال تدمع العين ويحزن القلب ولا نرضى الا مايرضى الرب وانا بك ياابراهيم لمحزونون (وعن أنس) رضي الله عنه انه قال مات لعثمان ابن مظعون ابن فاشتد حزنه عليه حتى اتخذ في داره مسجدا يتعبد فيه فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ياعثمان ان الله عز وجل لم يكتب علينا الرهبانية انما رهبانية أمتي الجهاد في سبيل الله وان للجنة ثمانية أبواب

وللنار سبعة أولا يسرك أن لا تأتي بابا من أبوابها الا وجدت ابنك الى جنبك آخذاً بحجزتك شفيعاً الى ربك عزوجل قال بلى قال أصحابه يارسول الله ولنا في فرطنا مالعثمان قال نعم ولمن صبر واحتسب (وبلغني) أنه مات لاعرابية ابن فقامت اليه فاغمضته فقالت يابني ذقت ماذاق أبوك وستذوقه أمك وان أفضل الراحة لهذا البدن النوم والنوم أخو الموت وماعليك أن كنت نائماً في فراشك أو ميتاً في قبرك ثم غدا القيامة والسؤال ثم الى الجنة أو الى النار والله لولا أن الموت أفضل الاشياء لابن آدم لما أمات الله حبيبه محمدا صلى الله عليه وسلم ولا أحيا عدوه ابليس (ومات) ابن لعمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه فلم يجزع فقيل له في ذلك قال ان الله أحب قبضه ومعاذ الله ان أكره ماأحب الله (وقيل) لأعرابي مات ابنه مافعل بولدك قال أكله الدهر الذي لايشبع . (وتوفي) لاعرابي ابن خبين عزوه قيل له ما كان على ابنك قال كونه لولم يكن لما مات خبين خلق مات (وسمعت) ان رجلا أصيب بولده فجزع جزعا شديداً وأنشأ يقول

فلولم يفارقني عطية لم أهن * ولم أعط أعدائي الذي كنت أمنع
شجاع اذا لاقى ورام اذا رمى * وهاد اذا ماأظلم الليل يصدع
سأبكيك حتى تفقد العين دمعها * ويصلح مني الدمع ماأتوجع

فجاء ذات يوم وشكا الى الحسن البصري جزعه فقال له الحسن هل كان ابنك يغيب عنك قال نعم كانت غيبته أكثر من حضوره قال فاتركه غائباً فان قدم عليك والا فستقدم عليه (ونعيت) الى ابن عباس رضي الله عنهما بنت له فاسترجع ثم قال عورة سترها الله ومؤنة كفاها الله وأجر قد ساقه الله ثم نزل وصلى ركعتين وقال صنعنا ماأمر الله عز وجل واستعينوا بالصبر والصلاة

﴿حكاية﴾ عن صالح بن عمرو أن امرأة بالمدينة كانت صالحة وكان لها ولد من أجمل الناس وجها وكان مولعا بالشراب ثم شهد مجلساً لابي عامر الواعظ وقد ذم الخمر بألفاظ وأبيات فانصرف الغلام وقد بغض الله اليه النبيذ فكسر أداة البطالة وألقى عنه زي الجهالة ثم لم يلبث الا اياما قلائل حتى مات فوجدت به أمه وجداً شديداً فلزمت قبره وأطالت البكاء عليه لا ينجع فيها وعظ واعظ ولا عذل عاذل ثم أضربت عن زيارة قبر الغلام والوقوف به فسألها أبو عامر وهي في طريق مكة تحج راجلة فقال ياأم الغلام ماقطعك عن زيارة قبر ابنك قالت أخبرك ياأبا عامر أني زرت قبر ابني يوما فبكيت عليه بكاء شديداً وكانت ندبتي له أن قلت حبيبي أرني صورتك أقبلها وعما نزل بها في التراب أسائلها أعطني كفك أقبلها ونحو هذا الكلام ثم غلبني النوم على القبر فسمعت حسا وقائلا يقول افسحوا لها عن قبره حتى تراه وتنظر اليه قالت فكشف لي في النوم عن ولدي واذا به قد امتلأ لحده وانسد قبره وانصدعت مقلته وتساقط شعر لحيته وسالت على خده حدقته وكانه قد دفع يده من القبر الي وهو يقول ياأماه كم تقولين اعطني كفك أقبلها وأرني صورتك أقبلها وعما نزل بها في التراب أسائلها هاك كفي تناوليها وهذه صورتي فسائليها وقد فسدت وجنتي وسقط أنفي وشفتي وتساقط شعر رأسي ولحيتي وعفا البلى حسن صورتي هاك كفي ياأماه فصل البلاء عظمي واكل التراب لحمي وطال في انفراد الوحدة غمي هاك كفي تناوليها أفردني في القبر أحبتي . وأسلمني للبلي اهل مودتي وقصف شظاظ(٣) قامتي . وأخلي بيتك من زيارتي هاك كفي تناوليها ويحك ياأماه نظفيها اغسليها نشفيها أنقذيها ارحميها قالت فكانه مد يده الي وهي تجري صديداً وتنتثر دوداً فهممت في النوم أن آخذها فردها الى القبر كالآسف الحزين وهو يقول هيهات . لاتصدقي بذلك ميتاً . ولا يسمع ميت ميتاً

ياأماه اصبري عن البكاء الذي يضرني وعليك بالبكى الذي ينفعني ثم انتبهت وقد كدت أن اقضي كمدا ثم غلبها البكاء وأنشدت تقول

دنيا غرور بساكنيها * قاطعة حبل آمليها
كنت أرجى به غلاما * أصفيته بالوداد فيها
حل من القلب في محل * فوق محلات آهليها
فاختلسته يد المنايا * مني وقد كان لي وجيها
فكنت أبكيه اذ تولى * والام تبكي على بنيها
أقول من حرقتي ووجدي * أعطني كفك أعطنيها
فنمت بين القبور يوماً * بعد بكائي لنازليها
قد كشف الرب في منامي * عن صورة كنت اصطفيها
حالت وأبدى البلى لعيني * صرت أرى منظرا كريها
وقال جهراً افرط حزن * دونك كفي تناوليها
ونظفيها وغسليها * ونشفيها وقبليها
هممت في النوم أخذ كف * فردها اذ نظرت فيها
وقال لى اذ رأى وقوفي * ورغبتي أخذها ذريها
هيهات لاصبر عن حبيب * قد غيبته القبور فيها

﴿ الباب السابع والعشرون ﴾

﴿ من يرى ميتاً عند موته وفنائه • قصد به التسلي ولايرده كثرة عنائه ﴾

(عن عائشة) رضي الله تعالى عنها قالت جاء أبو بكر رضي الله عنه فكشف عن وجه النبي صلى الله عليه وسلم فوضع فمه بين عينيه ووضع يده فوق صدغيه فقال وانبياه واخليلاه واصفياه صدق الله انك ميت وانهم ميتون وماجعلنا لبشر

من قبلك الخلد أفان مت فهم الخالدون) ثم غطى الثوب على وجهه صلى الله عليه وسلم ﴿ وقيل ﴾ ماعرف موت الحجاج الا بجارية خرجت من قصره فقالت

اليوم يرحمنا من كان يرهبنا * اليوم نتبع من كانوا لنا تبعا
اليوم نخدم من كانوا لنا خدما * اليوم نظهر منا الحزن والوجعا

(وعن حميد الطوسي) رحمه الله تعالى قال كان يوم عيد فخرجت جارية وأنشدت تقول

من كان أصبح هذا اليوم مغتبطاً * فما اغتبطنا به والله محمود
من كان منتظراً بالفطر سيده * فان سيدنا في القبر ملحود

﴿ وقيل ﴾ لما قتل أمير المؤمنين علي رضي الله تعالى عنه أنشد واحد فقال

أين من كان بعلم الـ * ـمصطفى للناس بابا
أين من كان اذا ما * اقحط الناس سحابا
أين من كان اذاما * نودي الحرب أجابا
أين من كان دعاه * مستجابا مستجابا

﴿ ولبعضهم في التعزية ﴾

كنت السواد لمقلتي * وعليك يبكي الناظر
من شاء بعدك فليمت * فعليك كنت أحاذر

﴿ وقيل ﴾ لما استشهد أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أتى الناعي المدينة فضجت المدينة بالبكاء والنحيب كاليوم الذي قبض فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل الناس الى منزل عائشة رضي الله عنها فوجدوا الخبر قد سبق اليها فخرجوا من عندها فلما كان في غداة غد قالوا ان عائشة غادية الى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل الناس يهرعون وكانت لا تطيق الكلام من كثرة الدمعة وشدة العبرة والناس من حولها محدقين حتى أتت رضي الله عنها الى باب

حجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذت بعضا دتي الباب ونادت السلام عليك وعلى صاحبيك أبي بكر وعمر رضي الله عنهما. أنا والله ناعية أحب أودائك اليك . ونادبة أقرب الناس اليك . قتل والله ابن عمك الذي فضله لايخفى قتل والله صفيك المرتضى قتل والله زوج سيدة النساء فاطمة الزهراء ولو كشف عنك يارسول الله الثرى . لرأيتني والهة عبرى . ثم استرجعت وقالت انا لله وانا اليه راجعون . ثم أمرت ان يضرب بينها وبين الناس بسجاف ثم قالت يامعشر الناس ما أنتم قائلون . ولم أنتم مجتمعون . قالوا ياأم المؤمنين ماتقولين في علي قالت معاشر الناس عليّ أن أقول في علي كان سيد الاوصياء . وابن عم خاتم الانبياء . وزوج البتول الكبرى . وسيف الله . أبا البررة وقاتل الكفرة . وواحد العشرة . أقدمكم جهاداً . وأسبقكم اجتهاداً . حليف السهر وماعون الفكر . مشيد الدين . وولي المؤمنين . الانزع البطين . العاقل الركين . القوي في دين الله . معاشر الناس . ولقد كان بيني وبين علي هنات . في ليال مظلمات . في محال البصرة . فيالها من رجال البصرة (٣) فيالها من كرة وأي كرة . استوثق ظلامها . وهجع نوامها . فركبت العسفان . ووطئت الركبان . حتى أتيت خلال عسكره . فرأيته بين كتيبين أحمرين . لايشغله بعد السفر عن السهر . فدنوت حتى صرت بين يديه . فاذا به واضع خده بين الثرى . يبكي وينتحب ويتململ كتململ الثكلى . وهو يقول سجد لك وجهي . وخضع فاستسلم لامرك سلمي فكيف المفر غدا من أليم عذابك (١) قالت عائشة رضي الله عنها فدنوت منه حتى صرت بين يديه وأخذت رأسه في حجري ومسحت عوارضه من التراب ثم رجعت من عنده ولا أحد من خلق الله أحب اليّ منه . ثم ألقت نفسها على قبر رسول الله

(١) (قوله قالت عائشة الخ) في نسبة هذه الحكاية لأم المؤمنين نظر ظاهر فليحرر اه

صلى الله عليه وسلم تبكي وتنتحب وهي تقول بأبي انت وأمي يانبي الهدى قتل والله حامل لوائك غدا . ثم نظرت الى الناس يبكون فقالت أيها الناس ابكوا فاليوم طاب البكى. اليوم والله قبض المصطفى . وتنفست الصعداء ثم رمت بنفسها على القبر حتى ظنوا انها قد فارقت الدنيا ثم حملتها نساء قريش الى منزلها وهي تقول

عجبت لقوم يسألون عن الذي * فضائله مشهورة في المشاهد
تجدد حزني واستهلت مدامعي * لوجهك يامن يرتجى في الشدائد

(وعن الاصمعى) قال سمعت اعرابيا يبكي عند قبر ويقول

بأبي وأمى من عبأت حنوطه * بيدي وودعني بماء شبابه
كيف السلو وكيف أنسى ذكره * واذا دعيت فانني أدعى به

﴿ وقيل ﴾ لما مات الاسكندر وجعل في تابوت من ذهب تقدم اليه حكيم فقال قد كان الاسكندر يخبأ الذهب وقد أصبح الآن يخبؤه الذهب وتقدم حكيم آخر الى تابوته فقال انظروا الى حلم النائم كيف انقضي والى ظل الغمام كيف انجلى

﴿ حكاية ﴾

(عن ابن عباس) رضي الله عنهما قال وفدت امرأة من اليمامة يقال لها أم رعلة العشيرية على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت امرأة ذات فصاحة ولسان فقالت بأبي وأمي يارسول الله انا ذوات الخدور ومحل أزر البعول وممهدات المهاد ومربيات الاولاد لاحظ لنا في الجهاد الا في الجيش الاعظم مع الكبر والهرم فعلمنا يارسول الله شيأ يقربنا من الله عز وجل فقال صلى الله عليه وسلم أم رعلة عليك بذكر الله آناء الليل وأطراف النهار وغض البصر وكثرة التوقير للرجال فانكن اذا فعلتن ذلك كنتن في موازين حسنات الرجال قالت بأبي

أنت وأمي اني امرأة مزينة مقينة أزين النساء واقينهن أفهو حوب فاميط عنه فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم هو خير يا أم رعلة زينيهن وقينيهن اذا كسدن (قال) ابن عباس رضي الله عنهما انها عبرت أيام حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كانت في ردة مسيلمة الكذاب وخلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه أقبلت المرأة تجر ذيلها حتى وقعت على مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونادت برفيع صوتها السلام عليك يارسول الله فبكى المسلمون وقالوا هيهات هيهات قبض والله رسول الله صلى الله عليه وسلم ياأم رعلة قالت فمن الخليفة بعده قالوا أبو بكر الصديق قالت فاهله يعيشون قالوا نعم فمرت الى بيت فاطمة رضي الله عنها وكانت احدى قيناتها يوم بنى عليها أمير المؤمنين على رضى الله عنه فدقت عليها الباب فخرج ابناها الحسن والحسين رضي الله عنهما أشعثين مغبرين قالت بأبي أنتما مالي أراكما أشعثين مغبرين قالا لها ما أغفلك عما نزل بنا قبض والله جدنا ولحقت به أمنا فحملت الحسن على كتفها الايمن وحملت الحسين على كتفها الايسر ثم أقبلت تطوف بهما فى أزقة المدينة تندب النبي صلى الله عليه وسلم وتقيم عليه المأتم وتقول

حزنت ياأسفي من بعد موته * لقد رماني الردى عن قوس غدار
لم يخط لما رمى قلبي باسهمه * وقد ثوى حرها في القلب كالنار
ياأيها المصطفى عند الضريح لقد * أرهنت في كبدي صرعى باضمار
لو كنت شاهدة والموت يحرضه * لمت قبل رسول الخالق الباري
يادار فاطمة المعمور ساحتها * أبقيت لي حزناً ياأيها الدار (٣)

﴿ وقيل ﴾ لما حضرت عبد الملك الوفاة جاءت عاتكة ابنة زيد فجلست عند رأسه وأنشأت تقول

لو في يدي حساب أيامي اذاً * لقذفتهن تعجلا لوفاتي

لاخير بعدك في الحياة وانما * أبكي مخافة ان تطول حياتي

(وكان) للشيخ ولدان ولد كان غائباً مشتغلا باللهو واللعب فنزل يوما من برج له فلم يستقل بالنزول من الدرجة حتى بدره أبوه وكان اسم الولد حسنا فقال ياحسن تب الى الله فتاب وصار من الصالحين وتوفي بعد مرض شديد فكان يقول

على رغمي يسليني سكوتك * واني لست منك كما رجوتك
قد كنت أحذر من فرا * قك أن يكون فكان موتك
ان الحمام سقاك كا * سا من بعد أدوية سقيتك
لما حميتك ثم مت وددت اني ما حميتك

(وقال) الاصمعي كنت أسير في البادية اذا أنا باعرابي قاعد في وهدة باكيا حزينا فقلت له مالي أراك باكيا حزينا فقال للمصيبة العظمى التي نزلت بي قلت وما هي قال أصبت بولدي قلت هل قلت في ذلك شعراً قال نعم وأنشأ يقول

نقلت من البيت المجدد والقصر * الى المنزل المجهود والبلد القفر
وبدلت من بعد الحياة وطيبها * على الرغم مني ظلمة اللحد والقبر
فلولا التعزي بالقرون التي مضت * لفارقني عقلي وزايلني صبري
وسميته باسمي فقلت لعله * يعمر عمري أو يزاد على عمري
وكنت به اكنى فأصبحت كلما * كنيت به فاضت دموعي على نحري
ولم أدر أن الموت بيني وبينه * يريد بي العظمى وقاصمة الظهر

(وسمعت) أبا بكر الواسطي يقول من بكى أخا من اخوانه فليبك أخاه بهذه الصنعة التي قالها الشاعر

أخ طال ماسرني ذكره * فأصبحت أشجي لدي ذكره

وقد كنت أغدو الى قصره * فأصبحت أغدو الى قبره
وكنت أراني غنيا به * عن الناس لو مد في عمره
اذا جئته طالباً حاجة * فأمري يجوز على أمره

(وقال آخر)

بكائي طويل والدموع غزيرة * وأنت بعيد والمزار قريب
نسيبك من أمسى يناجيك طرفه * وليس لمن تحت القراب نسيب
غريب وأطراف البيوت تحوطه * ألا كل من تحت التراب غريب

(وقال آخر)

أبقيت مالك ميراثا لوارثه * فليت شعري ما أبقى لك المال
ملوا البكاء فما يبكيك من أحد * واستحكم القيل في الميراث والقال
القوم بعدك في حال يسرهمو * فكيف بعدك قد دارت بك الحال

الباب الثامن والعشرون

﴿ تحريق الثياب والمناكير في النياحات . أني يغنيان عن نسيب مات . أو حبيب فات ﴾

(عن مسروق) عن عبد الله رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعاء الجاهلية

﴿ وقيل ﴾ لما قتل عثمان رضي الله تعالى عنه خطب معاوية نائلة الكلبية زوج عثمان فقالت لا أتزوج بعد عثمان فدعت بالمرآة وكانت حسنة الثغر ودعت بفهر فدقت كل واضحة لها فجعل الدم يسيل عليها فأقبلت جواريها وقلن لها ما تصنعين بنفسك قالت اني رأيت الحزن يبلى كما يبلى الثوب فخفت ان يبلى حزني على عثمان فوالله لا يجلس مني رجل مجلسه أبدا فذلك الذي دعا قريشا الى التزوج من كلب (وخرج) أبو هريرة والنساء يبكين وأمر مروان باللواتي

يبكين أن يضربن فقال أبو هريرة دعهن فانه مرّ على النبي صلى الله عليه وسلم بجنازة ومعها نساء يبكين فنهاهن عمر رضي الله تعالى عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعهن يا ابن الخطاب فان النفس مصابة والعين دامعة والعهد قريب (وعن) عروة بن الزبير رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يارب أي عبادك أحب اليك فذكر(١) فقال الذي يبكي لفقد الصالحين كما يبكي الصبي على فقد أبويه فان الصبي اذا فقدهما يبكي (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما نائحة ماتت قبل أن تتوب ألبسها الله تعالى سربالا من قطران وأقامها على رؤس الخلائق يوم القيامة

الباب التاسع والعشرون

(تجهيز الموتى على حكم الشريعة • احسان اليهم وأمانة في الوديعة)

(قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات ولم يترك درهما ولا دينارا لم يدخل الجنة أغنى منه ومن مات وليس له كفن قال الله تعالى لملائكته كفنوه من ثياب الفردوس واغسلوه بالكافور والزنجبيل والسلسبيل ويصلى عليه جبريل عليه السلام مع سبعين ألفاً من الملائكة • فأما الصلاة عليه وحمله فانه يحمل بين العمودين ويبدأ الحملة بيمين الميت ويصلى عليه الاب ثم الجد وان علا (وعن) جابر رضي الله عنه قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تعصيص(٣) القبور يعني التجصيص (وصلى) أمير المؤمنين على جنازة فقال ان كنت مغفوراً فطوبي لنا نصلى على مغفور وان كنا مغفورين فطوبي لك يصلي عليك المغفورون (ومرت) باعرابي جنازة فقال طوبي لك فقيل له تعلم هذا فقال لا ولكني أعرف من يحمل هذا اليه (وعن أنس) رضي الله تعالى عنه

---

(١) بياض بالاصل

قال تبع رسول الله صلى الله عليه وسلم جنازة فلما سلم دعا بثوب فبسط على القبر وهو يقول لاتطلعوا على القبر فانها أمانة ولا يدخل القبر الا ذو أمانة (وأنشد بعضهم)

كأن قد عجل الاخوان غسلك * وقام القوم يبتدرون حملك
ولحد في الثرى لك بيت هجر * وأسرعت الاكف اليه قبلك
وأسلمك ابن عمك فيه فرداً * وأرسل من يديه أخوك حبلك
وصار الوارثون وأنت صفر * من الدنيا بمالك منك أملك
ولم تبك العيون عليك وجداً * ولكن العيون بكين بذلك
اذا لم تتخذ للموت زاداً * ولم تجعل بذكر الموت شغلك
وقد ضيعت حقك يوم تدعى * وأهلك يوم تنساه وفضلك
أراك تغر بالشهوات قدما * وكم قد غرت الشهوات مثلك
كأنك بالمنايا عن قليل * وقد أوحشت بعد الانس أهلك
ألم تر جدة الايام تبلى * وأن الحادثات يردن قتلك
ألا فاخرج من الدنيا عفاء * وقدم عنك بين يديك فعلك

(وقيل) لحكيم ما أبلغ العظات . قال النظر الى محل الاموات . وكان أبو هريرة رضي الله تعالى عنه اذا رأي جنازة يقول اغدوا فانا رائحون وروحوا فانا غادون (وقيل) موعظة بليغة . وغفلة عظيمة (وأنشد بعضهم)

ياأخي كن على حذر . قبل ان تحدث العبر
لاتكن جاهلا كأنـ * ـك لاتعرف الخبر
سبقونا الى البلى . وغداً نحن بالأثر

الباب الثلاثون

(نطق الكتاب بالسؤال وعذاب القبر . وما وردت الآثار بما فيه من السرور والشر)

(قال الله تعالى) فان له معيشة ضنكا (قال ان يضيق عليه قبره) . قال عطاء (اذالاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات) قال عذاب القبر (سنعذبهم مرتين) قال عذاب القبر وعذاب النار (ولنذيقنهم من العذاب الادنى) قال عذاب القبر (فيعذبه الله العذاب الاكبر) قال عذاب القبر (والتفت الساق بالساق) يعني في عذاب القبر اذا سأل منكر ونكير (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم) كنتم أمواتاً في أصلاب آبائكم وأرحام أمهاتكم فاحياكم حياة الدنيا (ثم يميتكم) عند انقضاء آجالكم (ثم يحييكم) في القبر (ثم اليه ترجعون) في القيامة قال (النار يعرضون عليها غدوا وعشيا) قال عذاب القبر ﴿ وعن البراء بن عازب ﴾ رضي الله عنه قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الانصار فانتهينا الى قبره ولم يلحد فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مستقبل القبلة وجلسنا حوله ثم نكس فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رفع وقال اللهم اني أعوذ بك من عذاب القبر ان المؤمن اذا كان في اقبال من الآخرة وانقطاع من الدنيا بعث الله عز وجل اليه ملائكة كأن وجوههم الشمس معهم حنوطه وكفنه فيجلسون منه مد بصره فاذا خرجت نفسه صلى عليه كل ملك بين السماء والارض وكل ملك في السماء وفتحت له أبواب السماء فليس منها باب الا يحب ان يدخل بروحه منه واذا صعدت الملائكة بروحه قالت أي رب عبدك فلان فيقول ارجعوا فاروه ما أعددت له من الكرامة أي وعدت (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى) فانه يسمع خفق نعالهم اذا ولوا مدبرين حتى يقال ياهذا من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول الله ربي وديني الاسلام ونبيي محمد صلى الله عليه وسلم فينتهر انتهاراً شديداً وهي آخر فتنة تعرض على مؤمن فيقال له ذلك فينادي مناد أن صدقت فذلك قول الله تعالى (يثبت الله الذين آمنوا

بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة) ثم يأتيه آت حسن الوجه طيب الريح حسن الثياب فيقول ابشر برحمة الله وجنات لهم فيها نعيم مقيم فيقول وأنت فبشرك الله بالخير ومن أنت وجهك الحسن بالله تبشر بالخير فيقول أنا عملك الصالح والله قد علمت انك كنت لسريعاً في طاعة الله بطيئاً عن معصية الله فجزاك الله خيراً قال ثم ينادي مناد أن افرشوا له من فرش الجنة وافتحوا له بابا الى الجنة فيفرش له من فرش الجنة ويفتح له باب الى الجنة فيقول اللهم عجل قيام الساعة حتى أرجع الى أهلي ومالي (قال) واذا كان الكافر في الاقبال من الدنيا والانقطاع من الآخرة نزل اليه ملائكة غلاظ شداد ومعهم ثياب من النار وسرابيل من قطران فيحتوشونه فتنزع نفسه كما ينزع السفود الكثير الشعب من الصوف المبتل تنزع نفسه ومعها العروق فاذا خرجت نفسه لعنه كل ملك بين السماء والارض وكل ملك في السماء وغلقت أبواب السماء فليس لها باب الا يكره ان يدخل بروحه قيل أي رب عبدك فلان فيقول ارجعوا فأروه ما أعددت له من الشر أي وعدته (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى)وانه يسمع خفق نعالهم اذا ولوا مدبرين حتى يقال ياهذا من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول لا أدري فيقال لادريت ثم يأتيه آت قبيح الوجه منتن الرائحة قبيح الثياب فيقول أبشر بسخط الله وعذاب مقيم فيقول وانت بشرك الله بشر ومن انت فيقول انا عملك الخبيث والله ماعلمت انك كنت لسريعا فى معصية الله بطيئا عن طاعة الله فجزاك الله شراً فيقول وانت جزاك الله شراً قال فيقيض الله له أعمى أصم وابكم معه مرزبة من حديد لو اجتمع عليها الثقلان لم يقلبوها لوضرب بها على جبل لصار تراباً فيضربه ضربة فيصير تراباً ثم يعاد فيه الروح فيضرب بها بين عينيه ضربة يسمعها من على وجه الارض غير الثقلين ثم ينادي مناد افرشوا له لوحين من نار وافتحوا له باباً الى

النار فيفرش له لوحان ويفتح له باب الى النار (وعن سفيان الثوري) رحمة الله عليه قال اذا دفن الميت فثروا عليه ورجع الناس عنه أتاه الملكان يسألانه قال فيتمثل له ابليس عند رأسه فاذا قال الملكان من ربك قال فيشير الى نفسه قل أنا قال فلذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم لو يعلم المرء ما يأتيه بعد الموت ما أكل أكلة ولا شرب شربة الا وهو يبكي ويضرب على صدره (وعن أبي سعيد الخدري) رضي الله عنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسجد فرأى قوماً يمزحون فقال أما انكم لو أكثرتم من ذكر هاذم اللذات لشغلكم عما أرى قالوا يارسول الله وما هاذم اللذات قال الموت وانه لا يأتي على القبر يوم الا ويتكلم فيه أنا بيت الوحشة أنا بيت الغربة أنا بيت الدود أنا بيت التراب وانه اذا دفن العبد المؤمن قال له القبر مرحباً وأهلا أما انك كنت من أحب من يمشي على ظهري واذا (٣) صرت الى وليتك فسترى صنيعي بك فيتسع له مد بصره ويفتح له باب اليّ الجنة يأتيه منها روحها الى يوم يدخلها وان الكافر أو الفاجر ليقول له القبر لا مرحبا بك ولا أهلا أما انك كنت من أبغض من يمشي على ظهري واذا صرت اليّ وليتك فسترى صنيعي بك فيضغطه حتي تلتقي اضلاعه وشبك رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصابعه ويصرف اليه سبعين تنينا لو ان أحدهم ينفخ في الارض كلها ما انبتت شيئاً عمر الدنيا فتنهشه وتخدشه ويفتح له باب الى النار ويأتيه منها ريحها وسمومها الى يوم الحساب (وعن عائشة) رضي الله عنها قالت جاءت يهودية تسأل عائشة رضي الله عنها فقالت أعوذك الله من عذاب القبر قالت عائشة رضي الله عنها فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عذاب القبر فما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى صلاة الا تعوذ من عذاب القبر ﴿وحدثني﴾ بعض اخواننا قال قال لي انسان من اخواننا رأيت ابنتي في المنام وقد ماتت

فقالت لي يا أبت هوذا يمهد لرجل من أهل النار يعني يعذبونه فسلهم أن ينحوه عني قال فبكرت بكرة فجئت والحفار يحفر فمنعته فقال تمنعني وهي مقابر المسلمين قال فأخبرته برؤياي قال فاغتم أهل الميت قال فحفروا له ناحية فلما كان الليل رأيت ابنتي فقالت لي يا أبت كذا أمرتك تهتك رجلا من المسلمين فان الله عز وجل قد رحمه بهتكك اياه (وعن أنس) رضي الله عنه قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم نخل بني النجار فخرج مذعوراً فسمع صوتاً وقرعا وقال من أصحاب هذه القبور قالوا يانبي الله ناس ماتوا في الجاهلية فقال نعوذ بالله من عذاب القبر وفتنة الدجال وكان ذلك أول يوم ذكره الله فقلنا يانبي وما عذاب القبر قال ان هذه الامة تبتلي في قبورها ان الرجل اذا جيء به ووضع في قبره جاء ملك شديد الانتهار فيقول ما كنت تفيد(٣) أمامن هداه الله فيقول أعبد الله وحده لا اشرك به شيئاً قال فما تقول في محمد بن عبدالله قال عبدالله ورسوله قال فما سألاه عن شيء الا يخبرهما قال فينطلق به الى مقعد كان له من النار فيقول هذا كان لك ثم ينطلق به الى مقعده من الجنة فيقول قد أطعت الله وعصيت عدوك فيقول ذروني أبشر أهلي فيقال له اسكن ويوسع له سبعون ذراعا ويملأ عليه خضرا الى يوم القيامة وأما أهل النار فيقول ما كنت تعبد فيقول لا أدري فيقال لا دريت ولا تليت فيضربه بمطارق بين أذنيه يصيح منها صيحة يسمعها من على وجه الارض غير الثقلين الجن والانس فينطلق به الى مقعده من الجنة فيقول هذا كان لك فعصيت الله وأطعت عدوك فيزداد حسرة وندامة ثم ينطلق به الى مقعده من النار فيراه ثم يضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه وراء صلبه (وعن) النبي صلى الله عليه وسلم انه قال أمر بعبد من عباد الله أن يضرب في قبره مائة جلدة فلم يزل ويدعو(١) حتى صارت جلدة

---

(١) قوله ويدعو كذا في الاصل ولعل فيه حذفا اه

واحدة وامتلأ قبره نارا فلما أفاق قال على م جلدتموني قالوا صليت صلاة بغير طهور ومررت بمظلوم فلم تنصره (وقال) صلى الله عليه وسلم اذا وضع الميت فى قبره ابتدرته أربعة نيران فتجيء الصلاة فتطفئ واحدة ويجيء الصوم فيطفئ واحدة وتجيء الصدقة فتطفئ واحدة ويجيء الصبر فيطفئ واحدة (وقال) اهتز العرش لحب لقاء الله سعدا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل قبره فاحتبس فلما خرج قيل يارسول الله ماحبسك قال ضم سعد فى القبر ضمة فدعوت الله ان يكشف عنه (وقال ابن عمر) رضي الله عنهما لقد هبط يوم مات سعد ألف ملك لم يهبطوا قبلها فلو نجا من ضغطة القبر أحد لنجا سعد بن معاذ (وعن سعيد الاودي) قال شهدت أبا أمامة الباهلي وهو في النزع فلما قمت أخذ بثوبي فقال لي اذا أنا مت فاصنعوا بي ما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نصنعه بأمواتنا اذا مات أحد من اخوانكم وسويتم عليه التراب فليقم بعضكم ثم ليقل يافلان بن فلانة فانه يسمع ولا يجيبه ثم ليقل يافلان بن فلانة فانه يقول أرشدنا يرحمك الله ولكن لا تسمعون فليقل اذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا اله الا الله فان منكراً ونكيراً يأخذ كل واحد منهما بيد صاحبه ثم يقول انطلق بنا ما يقعدنا عند هذا وقد لقن حجته ويكون الله لقن حجته دونه فقال رجل يارسول الله فان لم نعرف اسم أمه قال فليقل (يافلان بن حواء) وقالت بنية الربيع بن خيثم يا أبت مالي أرى الناس ينامون ولا تنام قال اني أخرت النوم الى القبر (قال) النبي صلى الله عليه وسلم مامن يوم الا والارض تنادي بعشر كلمات تقول يا ابن آدم تمشي على ظهري ومصيرك الى بطني يا ابن آدم تضحك على ظهري ثم تبكي في بطني يا ابن آدم تفرح على ظهري ثم تحزن في بطني يا ابن آدم تفخر على ظهري ثم يكون لك الحسرة في بطني يا ابن آدم تأكل على ظهري ثم يأكلك الدود في

بطني يا ابن آدم تجمع على ظهري ثم تلوم نفسك في بطني يا ابن آدم تغفل على ظهري ثم تنتبه في بطني يا ابن آدم تستأنس على ظهري ثم تستوحش في بطني الحذر الحذر (وقال) صلى الله عليه وسلم ان الروح اذا خرج من الجسد وأتى عليه ثلاثة ايام يقول أي رب ائذن لي حتى أنظر الى جسدي الذي كنت فيه ماحاله وما خبره فيقول الرب تعالى اذهب فقد أذنت لك قال فيأتيه في قبره فينظر اليه من بعيد وهو متغير وقد سال من منخريه ماء ومن عينيه ماء ومن أذنيه ماء ومن فيه ماء وهو في وسط الماء قال فيبكي ويقول صرت على هذه الحالة فمن أسوأ حالا منك بعد حسن جمالك ونضارة جسدك ثم يمضي بالبكاء والتحسر حتى اذا مضى عليه خمسة أيام قال يارب ائذن لي حتى أنظر الى جسدي الذي كنت فيه فيقول الرب تعالى وتقدس اذهب فقد أذنت لك قال فيأتيه في قبره فينظر اليه من بعيد وهو متغير وصار الماء الذي في فيه صديداً والذي في أنفه دماً والذي في عينيه قيحاً فيبكي ويقول صرت بهذه الحالة فمن أسوأ حالا منك بعد حسن جمالك فيبكي بكاء طويلا ثم يمضي ويقول لم تكن تذكر هذا الموضع وهذا المنزل ولم تستعدله حتى يأتي عليه سبعة أيام أخر فيقول يارب ائذن لي حتى أنظر اليه مرة أخرى فيقول له الرب عزوجل اذهب فقد اذنت لك فيأتيه في قبره فينظر اليه من بعيد وهو متغير صار الماء دوداً ووقعت حدقتاه على وجنته ووجهه ويخرج الدود من فمه وأنفه فيدخل في منخره ويخرج من فمه فيبكي ويقول صرت جيفة قذرة أين أهلك وولدك الذين كنت في دار الدنيا في تعب منهم وأين أملك الطويل وحرصك الشديد اين منزلك العامر واين فراشك ومهادك واين ماجمعته من حلال وحرام واين احرارك واخوانك ورفقاؤك واين من كنت تفخر بهم تركوك في لحدك وحيداً . وبين التراب والدود طريداً . لو نظروا اليك كما نظرت اليك

لتركوا الدنيا وبكوا على انفسهم ايام حياتهم فالويل لك يوم القيامة من الملك الجبار وديان يوم الدين فعليك السلام

﴿ فصل ﴾ في الاسباب . التي بتركها يمنع العذاب . وما يؤنس الموتى من اجورهم في قبورهم . وما يلحقهم من الثواب والحسنات . بعد الفوات والوفاة

(قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم لايزال الميت يسمع الاذان مالم يطين قبره أي مالم يطل قبره (وقال) ابن عباس رضى الله عنهما ان رجلا ضرب خباء على قبر ولم يعرف انه قبر فقرأ تبارك الذي بيده الملك فسمع صائحاً يقول هي المنجية من عذاب القبر (وقال) صلى الله عليه وسلم يلحق الله تعالى بالميت سبعة من العمل رجل نشر علما فله مثل اجر عمله . ورجل ترك ولداً تقيا يستغفر له . ورجل اجرى صدقة يجرى له اجرها . ورجل اورث مصحفا فله مثل من قرأ فيه . ورجل بني بنيانا لابن السبيل فلحق به فله مثل اجور من سكن فيه . ورجل اجرى نهرا وانبط عينا فله مثل اجر من ورده ورجل غرس غرسا لم يصب الطير ولا السباع ولا الذر ولا الذباب ولا ابن السبيل من ثماره شيئاً الا كتب الله له صدقة (وقال) صلى الله عليه وسلم من قال لا إله إلا الله الملك الحق المبين في كل يوم مائة مرة استقرع بها باب الجنة واستجلب بها الرزق وكفى بها عذاب القبر (وعن) ابن عباس رضى الله عنهما قال نزل جبريل عليه الصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فقال يامحمد ان الله تعالى بعث اليك هدية لم يبعثها الى من قبلك وهي سبع عشرة كلمة لايدعو بهن احد عند الشدة الا فرج الله عنه يصلي ركعتين ثم يرفع يديه الى الله عز وجل ويقول ياعماد من لاعماد له ويا ذخر من لا ذخر له . ويا غياث من لا غياث له ويا سند من لا سند له ويا حرز من لا حرز له

ويا كريم العفو ويا حسن التجاوز ويا عظيم العطاء ويا عون الضعفاء ويا منقذ الغرقى ويا منجي الهلكى ويا محسن ويا مجمل ويا منعم ويا متفضل انت الذي سجد لك سواد الليل وضوء النهار وضوء القمر وشعاع الشمس ودوي الماء وهفيف الشجر يا الله يا الله يا الله انت وحدك لا شريك لك (وقال) صلى الله عليه وسلم ما من عبد يقول عند قبر ميت اذا دفن ثلاث مرات اللهم اني اسألك بحق محمد وآل محمد أن لا تعذب هذا الميت الا رفع الله عنه العذاب الى يوم ينفخ في الصور . والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم تنور القبر (وقال) صلى الله عليه وسلم اكثروا الصلاة عليّ فان الصلاة عليّ نور في القبر ونور على الصراط ونور في الجنة ومن صلى يوم الخميس اثنتي عشرة ركعة بفاتحة الكتاب مرة وقل هو الله احد ثلاث مرات والمعوذتين ثلاث مرات نادى ملك من تحت العرش يا عبد الله استأنف العمل فقد غفر لك ما تقدم من ذنبك ورفع الله عنه عذاب القبر وضيقه وظلمته وادخل فيه الف نور وكتب الله بكل ركعة عبادة ألف سنة (وقال) صلى الله عليه وسلم من صلى في ليلة الجمعة ركعتين يقرأ فيهما بفاتحة الكتاب مرة وخمس عشرة مرة اذا زلزلت الارض أمنه الله من عذاب القبر ومن أهوال يوم القيامة

الباب الحادي والثلاثون

(من عزى مكروبا أو مصاب . جمع الله بينهما في الثواب)

(قال) النبي صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يعزي اخاه المسلم في مصيبة الا البسه الله من حلل الكرامة (وقيل) عزى عمرو بن عبيد علي ابن له فقيل له ان اباك كان اصلك وان ابنك كان فرعك وان امرأ ذهب اصله وفرعه لحري ان يقل بقاؤه (وسمعت) بعضهم يقول مات لقاض من المسلمين ابن فعزاه

مجوسي ومجنون ومخنث فقال المخنث اشكر الله تعالى فلعله لو عاش لكان مثلي وقال المجوسي اعمل الآن ما عمل الجاهل بعد ثلاثة وقال المجنون كل الناس رضوا بقضائك وأنت لم ترض بقضائه (وعزى) بعضهم آخر فقال

لا زلت تبقي ونعزيكا * ولا يعزي أحد فيكا
عش ياأمين الله في غبطة * يكلأك الله ويبقيكا
لو ان نفساً أعطيت سؤلها * لم يحلل الموت بناديكا

(وقال آخر)

وها هي دنيا لاتدوم بحيلة * حديثاً قصاراها الردى والفجائع
وأرواحنا فينا ودائع تنقضي * ولا بد يوما أن ترد الودائع
وما الدهر الا ترحة بعد فرحة * ولذات عيش نغصتها القوارع
وثغر بأيام المسرة ضاحك * وطرف بايام الحوادث دامع
وقد كان دهري ضاحكا فهو عابس * وقد كان ظهري قائماً فهو راكع
وان زمانا خانني في حياتهم * يخبرني أني اليهم مسارع
وهل لامرئ مستعتب بعدمابدت * أمور بهن الشيب في الفود طالع
وقد فاته فيما مضى من شبيبة * عواثر عمر ثالث ثم رابع
ففارقه أحبابه وهو بعدهم * حزين وهل حزن على ذاك نافع
يخاطبه منهم طلول دوارس * ويخبره عنهم ديار بلاقع
ومثلي اذا ماجاء مثلك واعظاً * يقال سها والامر في ذاك شائع
وقد قيل من يسعى بتمر مبادرا * الى هجر ثارت عليه المضايع
ولولا عزاء في الطباع مركب * وكل به ان عضه الدهر قانع
لما عاش خل ذاق بعد خليله * فراقا ولكن جانب الصبر واسع

﴿ وقيل ﴾ سأل داود النبي عليه الصلاة والسلام ربه عز وجل فقال

الهي ماجزاء من عزى حزيناً ابتغاء مرضاتك قال جزاؤه أن ألبسه (٣) لا انتزعه عنه أبداً (وكتب) بعضهم الى آخر يعزيه بابنته

جعلت فداك من النائبات * ومتعت ماعشت بالمكرمات
سروران مالهما ثالث * حياة البنين ودفن البنات
وقد نلت حظك من ذا وذاك * فلا تكفر النعم السابغات
وقد قال خير الورى كلهم * دفن البنات من المكرمات

(وقال آخر في التعزية)

اني معزيك عن عزيز * ان لريب الزمان غدرا
وكان ظهرا فكان أجرا * وكان ذخرا فصار ذخرا

(واستظرفت) مسألتين في التعزية للامير قابوس {أحداهما} الدهر أطال بقاء الاستاذ مفصله ومجمله مركب النوائب . وملعب العجائب . شأنه نكث العهود . وتبديل البيض بالسود . ماقصد أحدا بخير الا اختتمه بشر . وما عهد في الرعاية عهدا الا نقض ذلك بغدر . ومن أراد منه سوى ذلك سيرة . فقد أراد من الاعمى عينا بصيرة . ومن ابتغى منه الرعاية . ابتغى من الغول الهداية . ومن تمنى ان يجرى له غير مجراه . فقد تمنى شيأ لا يراه . وان آخر الدنيا فناء . والجزع على الاموات عناء {والثانية} الدنيا شجرة ثمرتها النوائب . وبيضة محها العجائب أولها رجاء السراب . وآخرها رداء من تراب . والايام والليالي مطيات البلايا . وأمهات المنايا . والدهر داء ليس له دواء . لا حياء لديه ولا وفاء . ثم بلغني ان الله قبض ابنك وكفاك مؤنته . وآمنك فتنته . وأنت ترجو بذلك جنة ومغفرة . فحزنت عليه وعزيت بذلك ولو كنت عاقلا عزيت فيما هنيت . وهنيت فيما عزيت . الدهر مرآة الغرائب ومخبأة العجائب . يأتي من حيث لا يدري . ويرمى عن ستر لا يرى . ينادي كل

يوم بتعجيل الانزعاج . والافتراش في مفارش المجاج . والشيخ أعلم بمواقع الاقدار . وقوارع الليل والنهار . عن ان ينبه من سنه . أو يدل على سنه . فمن أراد ان يزيده تبصيرا . ويخبره بما ليس به خبيرا . كان كمن أهدى الى الارض هدوا . والى السماء سموا . جعل الله هذه المصائبه خاتمه . ولصوارم الدهر صارمه

الباب الثاني والثلاثون

(من جمع بين التعزية والتهنئة في مقاله . فقد أقام المعزي بالصبر والشكر في حاله)

{ لما } مات معاوية بن أبي سفيان واستخلف يزيد لم يجتمع الناس على رأى أيهنونه بالخلافة أم يعزونه بموت أبيه حتى أتاه رجل يقال له حجار بن أبجر العجلي فشق الصفوف ومزقها حتى دخل على يزيد فقال السلام عليك أيها الامير أما بعد فقد رزقت عظيما . ورزئت جسيما . وأوتيت من الأجر كريما . فبارك الله لك في الخلافة وعظم أجرك على المصيبة فكن على رعيتك عطوفا وباهل مودتك شغوفا . ولمن يستند اليك رؤفا . كي يؤلف الله لك القلوب وييسر الله لك الدروب . ويطفئ الحروب . فقال له يزيد من أنت قال حجار قال ما الفصاحة عندك قال اذا نطقت فلا أخطئ وأسرعت فلا أبطئ وأوردت الكلام الكثير بالجواب اليسير قال صدقت غير انك قصير قال المرء باصغريه بقلبه ولسانه ان نطق نطق ببيان وان قاتل قاتل بجنان قال صدقت غير انك دميم قال أما الجمال فمن حلي النساء ولا حاجة لي فيه قال صدقت غير انك أحمر قال الذهب الاحمر ان كثرته جاد وان نقصته انتفع به قال صدقت غير انك أزرق قال البزاة زرق تقعدها الملوك على وسائدهم وتطعمها بأيديهم وهي كرام الطير كما قيل

ألم تر طير الماء سوداً عيونها * وان كرام الطير هن الازارق

قال صدقت فارفع اليّ حوائجك فقال كل شيء لاتحب ان يفعل بك فلاتفعله (وقال) الوليد بن عبد الملك في خطبته رزئنا أعظم الرزية وأعطينا أعظم العطية والحمد لله على العطية وانا لله وانا اليه راجعون على الرزية * وعزاه وهنأه آخر فقال أعزيك بأبيك وأهنيك بنفسك فان من كنت خلفه لم يمت . ومن كان مثلك ولداله لم يفت

هلال بدا وهلال أفل * كذلك اختلاف صروف الدول
لئن ساءنا أن جيشا مضى * لقد سرنا أن جيشا قفل

(وقال آخر)

أياعبد الاله ألا فشكرا * فان الشكر يتبعه المزيد
سعدت سعادتين بغيرشك * ولم يجمعهما الا سعيد

(ولما توفي هارون الرشيد رحمه الله تعالى) وقعد محمد بن زبيدة للخلافة أشكل علي الناس فلم يدروا أيهنونه أم يعزونه فدخل أبو نواس وقال

جرت جواري السعود والنحس * والناس في مأتم وفي عرس
فالعين تبكي والسن ضاحكة * فنحن في وحشة وفي أنس
يضحكنا القائم للانام كما * نبكي وفاة الامام بالامس
بدران بدر الى الجنان غدا * وبدر غدا ببغداد في الانس

﴿الباب الثالث والثلاثون﴾

(أجوبة المعزى ورقاع أهل البلى . دالة على كثرة الاسى وحرقة فى الحشا)

(عن) ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى ارجعوا الى أبيكم فقولوا ياأبانا ان ابنك سرق قال كانت مشربة من زبرجد (وقال) ابن اسحاق كانت من فضة وقيل من ذهب وقال عكرمه كانت مشربة من فضة مرصعة

بالجوهر واستخرجت من وعائه على رؤس الناس (وروى) عن عبد الله بن يزيد عن أبي فروة ان يعقوب كتب كتابا الى يوسف عليهما الصلاة والسلام حين حبس عنده بنيامين فقال وهو لايدري أي الناس هو بسم الله الرحمن الرحيم من يعقوب اسرائيل الله بن اسحاق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله الى مصر فرعون الملك (أما بعد) فانا أهل بيت موكل بنا البلاء قديما أما جدي ابراهيم فشدت يداه ورجلاه وألقي في النار فجعلها الله عليه بردا وسلاما وأما أبي اسحاق فشدت يداه ورجلاه ووضع السكين على قفاه ففداه الله وأما انا فكان لي ابن وكان أحب أولادي اليّ فذهب به اخوته الى البرية ثم اتوني بقميصه ملطخا بالدم وقالوا قد أكله الذئب فذهبت عيناي من بكائي عليه ثم كان لي ابن آخر وكان أخاه من أمه وكنت أتسلى به وانك حبسته وزعمت انه سرق وانا أهل بيت لانسرق ولا نلد سارقا فان رددته اليّ والا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك فلما قرأ يوسف كتاب ابيه اشتد بكاؤه وعيل صبره ثم كتب أما بعد فقد أتاني كتابك وقرأته وفهمت ماذكرت من أمر آبائك فانهم ابتلوا فصبروا فاصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا والسلام

(ولما) قتل جعفر البرمكي وحبس يحي بن خالد كتب يحي من الحبس . الى أمير المؤمنين . وامام المسلمين . وخليفة المهديين من عبد أسلمته ذنوبه . واو بقته عيوبه . وخذله شقيقه . ورفضه صديقه . ونزل به الحدثان . وزل به الزمان . فحل الضيق بعد السعة . وعالج البؤس بعد الدعة . ولبس البلاء بعد الرخا . وافترش السخط بعد الرضا . واكتحل السهر بعد الهجود فساعته شهر . وليلته دهر . قد عاين الموت . وقارب الفوت . جزعا ياأمير المؤمنين من وجدك . وأسفا على ماسلف من قربك . لا على شيء من المواهب .

لان الاهل والمال في يدي عارية منك والعواري مردودة . فأما ما اقتصصت به من ولدي جعفر فانما كان عبدا من عبيدك أخذته بذنبه . وعاقبته بجرمه . لا يخاف عليك الخطأ في أمره . ولا أن تكون تجاوزت ماينبغي فيه . وما من رضاك خلف . وما من سخطك عوض فقد كبرت سني . وضعفت قوتي . فارحم شيبتي . فمنك الاقالة ومنى العثرة لست أعتذر اليك بشيء الا بما يجب من الاقرار حتى ترضى فاذا رضيت رجوت ان يظهر لك من أمري وبراءة ساحتي مالا يتعاظمه مامننت به عليّ من رأفتك ورحمتك والسلام { فأجابه } هارون ليس لكلامك جواب انما مثلك مثل قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان الآية فأعاد اليه

قل للخليفة ذي الصنا * ئع والعطايا الفاشيه * وابن الخلائف من قريـ
ش والملوك الهاديه * أين البرامكة الذيـ * ن رموا اليك بداهيه
السخط منك أبادهم * لم يبق منهم باقيه * فكأنهم مما بهم
أعجاز نخل خاويه * صفر الوجوه لهم غدت * خاع المذلة باديه
مستضعفين مطرديـ * ـن بكل أرض قاصيه * بعد الوزارة والاما
رة والامور السامية * ومنازل كانوا بها * فوق المنازل عاليه
فاليوم حين رموا لديـ * ـك بما يشيب الناصيه * أضحوا وجل مناهمو
منك الرضا والعافيه * فانظر الى الشيخ الكبيـ * ـر فنفسه لك راجيه
أو ما سمعت مقاله * ياذا الفروع الزاكيه * لا تشمتن بي العدا
نفسي لنفسك واقيه * قد كنت أرجو غير ذا * فاليوم خاب رجائيه
واليوم قد سلب الزما * ن كرامتي وبهائيه * واليوم قد ألقى الزما
ن كرامتي بفنائيه * ووهبت مالي كله * وندى الخليفة تاليه
يامن أراد بي الردى * يكفيك ويحك مابيه * يكفيك اني مستباح

عشيرتي ونسائيه * يكفيك ما أبصرت من * ذلي وذل مقاميه
ان كان لا يكفيك الا ان أذوق حماميه * فلقد رأيت الموت من
قبل الممات علانيه * وفجعت أعظم فجعة * جلبت عليّ الداهيه
فلبست أثواب الذليـــل ولم تكن سرباليه * انظر بطرفك هل ترى
الا قصوراً خاليـة * وخزائناً مقسومة * قسمن قبل مماتيه
ومصارعا وفجائعاً * ومصائباً متواليـه * ونوادبا ينـدبنني
ينعين قبل وفاتيه . يابي عليّ البرمكي فلا * أجيب الداعيـــه
أخليفة الرحمن بي * لاتشمتن أعدائيـه * اذكر مقاساتي الامو
رو خدمتي وغنائيـه . وارحم أخاك الفضل والـباقين من أولاديه
فلقد رجوت وقد دعو . تك ان سمعت دعائيه . أخليفة الرحمن انـ
ـك لو رأيت بكائيه * وبكاء فاطمة الصغير . ة والمدامع جاريه
دمعاً لها بتوجع * ياشقوتي وشقائيه * من لي فقد غضب الاما
م على جميع رجاليـه * وعدمت طيب عيشتي * وتغيرت حالاتيه
من لي وقد غضب الاما* م بسادتي وحماتيه * ياعطفة الملك الرضي
عودي علينا ثانيـه * ياآل برمك انما * كنتم كنوزا عاديه
وبحور جود جمة . وجبال عز راسيه

(فلما) قرأها الرشيد بكى رقة له وقال لمسروق الخادم احرق الكتاب فان النعمة قد زالت ووقع عنه .

ياآل برمك انما * كنتم ملوكا طاغيه * فطغيتمو وبغيتمو
وكفرتمو نعمائيه * هذى عقوبة من عصى * من فوقه وعصانيه
ذوقوا وبال أموركم * حتى تحلوا الهاويه

الباب الرابع والثلاثون

(الوقوف على القبور والتبكي للديار • سنة قديمة بين الحكماء في الاعصار)

﴿ قيل ﴾ لما دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم في تربته ندبت فاطمة رضوان الله تعالى عليها وأخذت من تراب القبر ووضعته على عينيها وهي تبكي وتقول

ماذا على من شم تربة أحمد * أن لا يشم مدى الزمان غواليا
صبت عليّ مصائب لو أنها * صبت على الايام صرن لياليا

﴿ وقيل ﴾ ان الحسن كان اذا مر بدار أحدهم قال أيتها الدار أين سكانك وأين عمارك ثم يقول والله لو أذن لها بالكلام لقالت اني كنت مجاورة لقوم سكنوا القبور وانتقلوا الى التراب وصاروا كأن لم يكونوا في العالمين قط (قال) ورأيت امرأة بصرية تندب في مكة على قبر وتقول

طوتك خطوب دهرك بعد نشر * كذاك خطوبه نشراً وطيا
ولو نشرت ترابك لي منايا * شكوت اليك ماصنعت اليا
بكيتك ياأخيّ بدرّ عيني * ولم يغن البكاء عليّ شيا
كفى حزناً بدفنك ثم اني * نفضت تراب قبرك من يديا
وقد كانت حياتك لي عظاة * وأنت اليوم أوعظ منك حيا

قال فسألت عنها فقيل هي أسماء بنت الحسين بن عبدالله بن الحسن بن علي رضي الله عنهم أجمعين تبكي على أخيها • وقد اجتمع الحسن البصري مع الفرزدق في جنازة فقال له ما أعددت لهذا الموضع فقال شهادة أن لا اله الا الله منذ سبعين سنة ثم قال هل قلت في هذا شعراً قال نعم

أخاف وراء القبر ان لم يعافني * أشد من القبر التهابا وأضيقا

اذا جاء في يوم القيامة قائد * عنيف وسواق يسوق الفرزدقا
لقد خاب من أولاد آدم من مشى * الى النار مغلول القلادة أزرقا
يساق الى دار الجحيم مسربلا * سرابيل قطران لباسا محرّقا
اذا شربوا فيها الحميم رأيتهم * يذوبون من حر الجحيم تمزقا

(وكان) في جنازة أخرى فلما نفضوا أيديهم من التراب وقف الحسن ثانياً ثم قال أما أنت يا أبا رجاء فقد استرحت من غموم الدنيا ومكائدها فجعل الله لك في الموت راحة طويلة ثم أقبل على الفرزدق فقال له يا أبا فراس كن من مثل هذا على حذر فانما نحن على الاثر قال فبكى الفرزدق وأنشأ يقول

واسنا بأنجى منهم وغير أننا * بقينا قليلا بعدهم ثم نرحل

(وقال) رأيت اعرابياً وهو يقول لولد له مات كنت هبة واجد . وعطية ماجد . وسرور والد . فاخذك معيرك . واسترك مفيدك . فألهمني الله الصبر . ولا أحرمني منك الاجر . وأجزل بك الذخر . ثم طفقت عيناه تذر فان الدموع وأنشأ يقول

نفسي ونفسك والنفوس معارة * يدعو بها أنى يشاء معيرها
فلئن ذهبت فقد ذهبت ومقلتي * بدموعها يجري عليك غزيرها

(قيل) مر محمود الوراق بقبر جميل فأنشأ يقول

ياصاحب القبر المنقش سقفه * ولعله من تحته مغلول
لا ينفعنك نقشه وسقوفه * وعليه من حلق العذاب كبول
لا يعجبنك ملكهم ونعيمهم * الملك ينفد والنعيم يزول
لا تجزعن من الهزال فربما * ذبح السمين وعوفي المهزول

(وقيل) لما دخل علي رضي الله عنه المدائن تمثل رجل من أصحابه يقول

جرت الرياح على محل ديارهم * فكأنهم كانوا على ميعاد

ان النعيم وكل ما يلهى به * يوماً يصير الى بلى ونفاد

فقال علي رضي الله عنه لا تقل كذا ولكن قل كما قال الله تعالى (كم تركوا من جنات وعيون وزروع) ان هؤلاء القوم استحلوا الحرم. فحلت بهم النقم. فلا تستحلوا الحرم فتحل بكم النقم. وان هؤلاء كانوا وارثين فصاروا موروثين.

(وقيل) ان اعرابياً وقف على قبر أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وقال

قد زرت قبرك يا علي مسلما * كل الزيارة من أقل الواجب

ولو استطعت حملت عنك ترابه * فلطالما عني حملت نوائبي

(وقيل) ان اعرابياً وقف على مقبرة وجعل يقول

لكل اناس مقبر بفنائهم * فهم ينقصون والقبور تزيد

أما ان ذا رسم لدار قد اقفرت * وقبر لميت بالفناء جديد

فهم جيرة الاحياء أما محلهم * فدان وأما الملتقى فبعيد

(قال) وسمعت طاهرا الصوفي وقد وقف على موضع خرب وقال

سل الديار عن الاحباب مافعلوا * سلها يقيناً وقل أنى ترى رحلوا

عسى تجيب وهيهات الجواب وقد * عفت فلم يبق لا رسم ولا طلل

ان الديار وان صمت فان لها * عهداً بأحبابنا اذ عندها نزلوا

أهوى هواها بمن قد كان ساكنها * وليس في دارهم همّ ولا شغل

(وقال عمر بن أبي ذر) على قبر والده يا أبا ذر قد انصرفنا وتركناك. ولو أقمنا مانفعناك (وقيل) ان رومياً وقف على قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد وفاته بعشرة أيام فأسلم وقال

مررت بقبر المصطفى فكأنما * يكلمني والقبر غير كليم

وفي قبره نور النبوة ظاهر * تصدع منه قلب كل سليم

فان أنا لم أعهدك ياسيد الورى * فقبرك بيتي انه لكريم

(وعن أبي العتاهية) قال كنت أنا وجماعة نساير يحيي بن خالد فساروا وسط مقبرة فقال لي يحيي أنشدنا في هذا شيأ فأنشدته

أما تعجبون لاهل القبور * كأنهمو لم يكونوا بشر
تؤمل في الارض طول الخلود * وغيرك يزداد فيها قصر
ومن كان بالدهر ذا عزة * فعندي من الدهر كل الخبر
أيامن يؤمل طول الحياة * وطول الحياة عليه ضرر
اذا ما كبرت وبان الشباب * فلا خير في العيش بعد الكبر

(ووقف) اعرابي على قبر أب له فقال

كفى حزناً أن صرت أضحك بعده * خلياً مع الخلان في عرصاته
وصارت يميني اذ خلاني بموته * وكانت يميني قبله بحياته

(ووقف) واحد على قبر صديق له فقال

سود المقابر مذ جاؤا بها بيض * وناظر العين مذ ودعت مغموض
قالوا هو الموت مفروض فقلت لهم * والحزن أيضاً على الاحرار مفروض

(وقال حكيم) يا أهل القبور مالكم لا ترحمون اليتيم اذا بكى فقد تقطعت الآمال وتصرمت الآجال . وتغيرت الاحوال . وبادت الاموال . فلا خير يعمل . ولا عذر يقبل (وسمعت) أبا نعيم يقول رأيت اعرابياً وقد أقبل بجنازة فقال بخ بخ فقلت يا اعرابي تعرفه قال لا ولكني علمت انه قادم على أرحم الراحمين (وقيل) ان علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقف بقبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال بأبي أنت و أمي يارسول الله ان الصبر لحسن الا عنك . وان الجزع لقبيح الا عليك (وقيل) وقف بعضهم على قبر فقال

ذا عزيز دعاه رب رحيم * غافر الذنب بالعباد عليم
دخل الترب مفرداً وحيداً * فاغفر اليوم ذنبه ياعظيم

وتفضل بعفوك اليوم يارب عليه فأنت رب رحيم

(وكان) سلمان الفارسي رضي الله عنه اذا زار القبور يقول كيف رأيتم معاينة ملك الموت والقبر والملكين هل نفعت عمارة الدور اذ سكن فيها غيركم وبقيتم في وحشة القبور ثم يقول يا أهل القبور علمتم حين لا ينفعكم العلم وندمتم حين لا تنفعكم الندامة

الباب الخامس والثلاثون

(ما ينفع نقش القبور والقباب . وصاحبها الى البلى والذهاب)

(عن أبي الحسن الازدي) قال دخلت اليمن فمررت بقبر عمر الحميري وهو مدفون فى قصر مكتوب على بابه

يعيش بمالي من كرهت حياته * وينعم بالاحباب كل لئيم
وأسكنت لحدي بين صم جنادل * على الرغم مني والحبيب عديم
فلو كان مني الموت يقبل رشوة * لشاطرته مالي وعشت سليم

(وعن صالح المري) قال رأيت قبراً وعلى جنبيه فسيل قد غرسه الميت وعلى القبر مكتوب

وفتى كأن جبينه بدر الدجي * قامت عليه نوائح وروامس
غرس الفسيل مؤملا لبقائه * فنما الفسيل ومات عنه الغارس

(وأنشد أعرابي) نزل الدنيا أناس قبلنا * رحلوا منها وخلوها لنا
ونزلناها كما قد نزلوا * وستبقى لاناس بعدنا
وستبقى لاناس بعدهم * ليست الدنيا لحي وطنا

(وكتب) على قبر عمرو بن الليث

تفكر بنا يا زائر القبر واعتبر * لانك في الدنيا فلست بآيس

ملكت خراساناً واكناف فارس * وما كنت عن ملك العراق بآيس

(ووجد) على قبر مكتوبا

حلبت الدهر أشطاره زمانا * وصرت مع الاماني فى عيان

وأنفقت الشباب على الملاهي * وها أنا والبلى فرسا رهان

(قال) ورأيت على قبر مكتوبا (قل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون) وقيل كان على قبر مكتوبا

رحم الله من رأى * مصرع القوم فاعتبر * نحن في برزخ مقيـ *

مون من فوقنا المدر * فارتهنا بفعلنا * وقطعنا عن البشر

بعد نور القصور صـ * ـرنا الى ظلمة الحفر

(وعن ذي النون المصري) رحمة الله عليه قال رأيت مكتوباً أبياتاً استحسنتها وهي

لو يعلم الناس بقرب الله * تمسك الخلق بحب الله

قد عز من يعز بالاله * وذل من يذل بالملاهي

(وقيل) كان صديقان دفنا في قبر واحد وكانا قد أمرا ان يكتب على القبر

كنا على ظهرها والعيش فى مهل * والشمل يجمعنا والدار والوطن

ففرق الدهر بالتفريق ألفتنا * فصار يجمعنا في بطنها الكفن

(وقيل) مكتوب في مقبرة ابن عباس رضي الله عنهما هذان البيتان

وكانت على الايام نفسي عزيزة * فلما رأت قبري على الذل ذلت

فقلت لها يا نفس موتي كريمة * فقد كانت الدنيا لنا ثم ولت

(وعلى قبر آخر)

اسكنت من كان في الاحشاء مسكنه * بالرغم مني بين الترب والحجر

يا قبر ما فيك من دين ومن ورع * ومن حياء ومن صون ومن حذر

ان تمح ياقبر شيئا من محاسنه * لاتمح عنه جميل الذكر والخبر

(وعلى قبر كافور)

لايثق بالحياة بعدي غيري * كل حي مصيره كمصيري
كنت في نعمة ولذة عيش * فمضى وانقضى كيوم قصير

(وأمر واحد أن يكتب على قبره)

الا أيها الماشي الى جنب حفرتي * توقف قليلا كي تفهم قصتي
رمتني المنايا اذ شبابي بشرخه * طري واذ ثوبي جديد وحلتي
فلم تخطنى لما رمتني بسهمها * فأصبحت وقفا بين نار وجنة
ولي خالق يمحو الذنوب بعفوه * اليه عذابي ان أراد ورحمتي

الباب السادس والثلاثون

(الصدقة للميت المدفون • كالتفريج على المقيد المسجون)

(عن ابن عباس) رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الميت في قبره الا كالغريق المهوي ينتظر دعوة تلحقه من أب أو أم أو أخ أو صديق فاذا لحقته كان أحب اليه من الدنيا وما فيها فان الله تعالى ليدخل على أهل القبور من دعاء أهل الدور أمثال الجبال فان هدية الاحياء الى الاموات الاستغفار لهم (وقال) صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى ليبلغ العبد الدرجة فيقول هذا بدعاء ابنك لك (وقال) صلى الله عليه وسلم مر أخي عيسى بن مريم عليه السلام بمقبرة من مقابر بني اسرائيل فاذا فيها قبر محشو من النور واذا بين يديه مائدة ساطعة من النور فقال ياصاحب القبر كلمني باذن الله تعالى فأمر الله عز وجل الميت فقعد بمكانه فقال ياروح الله أتعرفني قال لا قال انا فلان بن فلان قال من أين لك هذا النور والخير والفرح والسعة في قبرك ما كان عملك قال ياروح الله هذا النور والخير والفرح والسعة في قبري من ولد صالح وصدقته

عليّ وتضرعه لله تعالى فقال سبحان الله أولادكم ينفعونكم وأنتم في التراب قال نعم وانا نفخر بخلف صالح كما تفخرون بالنبوة وان لله تعالى موائد واذا كان يوم الجمعة بعثت الينا الملائكة معهم موائد من نور وعليها صدقة الاحياء للاموات وثواب دعائهم لهم وثواب حجهم عنهم يا روح الله ولد صالح بعد موتنا أحب الينا من أضعاف أعمالنا فقال عيسى عليه السلام ان الله تعالى يرضي الاحياء بالاموات والاموات بالاحياء (وقال) صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليبر والديه في حياتهما فاذا لم يتصدق عنهما ولم يصل عليهما كتب عند الله عاقا وان الرجل يعق والديه في حياتهما فاذا ماتصدق عنهما وصلى عليهما كتب عند الله بارا (وقال) صلى الله عليه وسلم من حج عن أبويه أو قضى عنهما مغرما بعث يوم القيامة مع الابرار (وقال) عليه الصلاة والسلام ما أهدى للميت هدية ولا أتحف بتحفة أفضل من الاستغفار (وقال) عليه الصلاة والسلام ان الله تعالى لايؤخر نفساً اذا جاء أجلها وانما زيادة العمر بذرية صالحة يرزقها للعبد فيدعون له بعد موته فيلحقه دعاؤهم فى قبره فذلك زيادة العمر (١) وان عمر بن وائل نذر لينحرن مائة بدنة فمات قبل أن ينحرها فنحر عنه ابنه خمسين بدنة بعد موته وبقي الذي عليه فما الذي تأمرني يارسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات مسلما ثم نحرت عنه أو تصدقت أو صمت أو أعتقت عنه بلغه

الباب السابع والثلاثون

(السنة على من يدخل القبور • قراءة القرآن والدعاء المأثور)

---

(١) قوله وان عمر بن وائل الخ الظاهر ان هذا تمة حديث سقط أوله من الناسخ فليحرر اه

(عن عمر) رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مر على المقابر وقرأ قل هو الله أحد احدى عشرة مرة ثم وهب أجره للاموات أعطي أجراً بعدد تلك الاموات (وعن أبي بكر الرازي) يقول قال صدقة المقابري وكان يكتسب فاذا حصل قوته كان يرجع الى المقبرة فيكون فيها الى أن يحتاج الى القوت قال بت ليلة متفكراً فرأيت كأن أهل تلك المقبرة قد جاس كل منهم على شفير قبره فقلت لواحد من القوم أترى قامت القيامة قال لا ولكنه مر بمقبرتنا هذه ثابت بن محمد العابد منذ عشرين سنة وقرأ ثلاثين مرة قل هو الله أحد فوهب لنا أجرها فنحن نقتسمها بيننا من لدن ذلك اليوم فما استوفينا من أجورنا بعد ﴿ وعن أنس ﴾ رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مامن عبد يقوم على قبر مؤمن فيدعو بهذا الدعاء الا غفر الله لذلك الميت . الحمد لله الذي لايبقى الا وجهه ولا يدوم الا ملكه أشهد أن لا اله الا الله وحده لاشريك له الهاً واحداً صمداً وتراً لم يتخذ صاحبة ولا ولداً لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد وأشهد أن محمداً رسول الله جزي الله محمداً النبي ماهو أهله (وقال) صلى الله عليه وسلم من زار قبر أبويه أو أحدهما في كل جمعة مرة غفر له وكتب برا (وقال) عليه الصلاة والسلام من زار قبر أبويه كان له كعدل حجة مبرورة وان كان زواراً لقبر أمه زارت الملائكة قبره من يوم يموت الى يوم يبعث (وقال) عليه الصلاة والسلام من زار قبر أمه وأبيه احتسابا كان حجابا من النار (وأنشد بعضهم)

كانا اذا ما أبصرا بك علة * جزعا لما تشكو وعز عليهما
وتمنيا لو صادفا لك راحة * بجميع ماتحويه ملك يديهما

(وعن أبي هريرة) رضي الله عنه قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم

زوارات القبور وقال مامن امرأة خرجت الى مقبرة من المقابر الا لعنها كل ملك في السماء والارض ويلعن ميتها ومن كان في تلك المقابر من الاموات ممن كان من أهل اللعنة وان جلست في بيتها ولم تخرج كتب الله لها حجة مبرورة وعمرة مقبولة (وقال) صلى الله عليه وسلم لأن أمشي على جمرة أو سيف أحب الىّ من أن أمشي على قبر امرئ مسلم وما أبالي أفي وسط القبور قضيت حاجتي أو في وسط السوق (٣) (وقال) صلى الله عليه وسلم يموت ناس من أمتي وعلى أعناقهم مثل الجبال من الوزر يحشرون يوم القيامة وما عليهم خطيئة قيل بم ذاك يارسول الله قال من طول البلى ودعاء الحي للميت

﴿الباب الثامن والثلاثون﴾

﴿ ان منهم من سئل بعد الموت عن حاله ، فأجاب بما شهد في مآله ﴾

(قيل) روئي يزيد بن هارون في المنام بعد موته بأربع ليال فقيل له مافعل الله بك قال تقبل مني الحسنات وتجاوز عن السيآت ووهب لي التبعات قلت وما كان بعد ذلك قال وهل يكون من الكريم الا الكرم غفرلي ذنبي فادخلني الجنة فقلت بم نلت الذى نلت قال بمجالس الذكر وقولي الحق وصدقي في الحديث وطول قيامي في الصلاة وصبري على الفقر قلت منكر ونكير حق قال إي والذي لااله الا هو ولقد أقعداني وسألاني وقالا لي من ربك وما دينك ومن نبيك فجعلت أنفض لحيتي البيضاء من التراب وقلت امثلي يسئل وأنا يزيد بن هارون الواسطي وكنت حزينا في دار الدنيا ستين سنة أعلم الناس فقال أحدهما صدق هو يزيد بن هارون نم نومة العروس فلا روعة عليك بعد اليوم فقال أحدهما أكتبت عن جرير بن عثمان قلت نعم وكان ثقة في الحديث ولكنه كان يبغض علياً أبغضه الله ﴿ وقيل ﴾ روئي

الفضل بن الفضل الكندي بعد وفاته بأيام فقيل له مافعل الله بك قال رحمني واكرمني وعفاعني بعمل هاتين الاصبعين وأشار الى السبابة والابهام قال وكيف قال من كثرة ما كتبت بهاتين صلى الله عليه وسلم تسليما (ورؤى) آخر فقال أنا محاسب بابرة استعرتها فلم أردها (وعن محمد بن خالد البزاز) قال رأيت منصور بن عمار في المنام فرأيته وقد أقبل وعليه ازار ورداء وهو يلبي فقلت المحرمون من حيث نحرم فقال هيهات ان نحرم من حيث تحرمون قلت أنت وحدك قال أصحابنا خلف (٣) قلت مثل من قال ابن السماك وغيره قلت ما فعل بك ربك عز وجل قال وقفت بين يديه وقال لي أنت منصور بن عمار قلت بلى يارب قال أنت الذي كنت تزهد الناس في الدنيا وترغب فيها قلت قد كان ذلك ولكن ما اتخذت مجلساً الا وبدأت بالثناء عليك وثنيت بالصلاة على نبيك صلى الله عليه وسلم وثلثت بالنصيحة لعبادك قال صدقت ضعوا له كرسياً في سمائي يمجدني في سمائي بين ملائكتي كما مجدني في الارض بين عبادي (وقيل) رؤى الخليل بن أحمد في المنام فقيل له مافعل الله بك فقال لم ينفعني فعول ولا مفاعيل الا سبحان الله والحمد لله (وعن معروف الكرخي) رحمة الله عليه قال كان في جواري رجل فاسق مواصل للرحم فمات فرأيته في المنام وبيده لواء من نور ومن خلفه جمع عظيم وعليهم لباس من نور ومن بين أيديهم نور ومن خلفهم وحواليهم وهم في النور يخطف بصرنا ضوءهم يقرؤن بصوت رفيع هذه الآية (فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل) فلما وقع بصره عليّ مضى فقلت بالذي أكرمك لما وقفت حتى أسأل عن حالك من هؤلاء الذين معك قال هؤلاء الواصلون للارحام يمضون تحت هذه الاعلام الى دار السلام قلت بم نلت ما نلت وقد كنت فيما كنت قال بصلة الارحام نلت الانعام في دار السلام من ذي الجلال والاكرام (وعن أبي أيوب النهرجوري) قال رأيت في النوم كأني

مارّ بمقبرة فرأيت على كل قبر قبة من نور قلت بم نلتم هـذه قالوا دفن ولي من أولياء الله البارحة عندنا فنثر عليه قباب من نور فأصاب كل واحد منا قبة (وعن أبي العباس بن عطاء) قال رأيت الجنيد في النوم فقلت له يا أبا القاسم ما فعل الله بك قال لي اتذكر السنة الفلانية وقد احتبس على الناس المطر فقلت بلى قال كنت مع النـاس فقلت ما أحوج الناس الى المطر فوبخني الله تعالى على ذلك فقال لي يا جنيد ما أحوج الناس الى المطر ما يدريك أن الناس يحتاجون الى المطر وأنا مدبر أمر الخليقة بعلمي اني عليم خبير اذهب فقد غفرت لك (ورؤى) عبد العزيز بن سليمان العابد في المنام وعليه ثياب خضر وعلى رأسه اكليل من لؤلؤ فقلت يا أبا محمد كيف كنت وكيف رأيت الامر هناك قال أما الموت فلا تسل عن شدة كربه وغمومه الا أن رحمة الله عز وجل وارت منا كل عيب وما نلنا الا بتفضل

﴿ الباب التاسع والثلاثون ﴾

﴿ ومنهم من أوصى بأحسن الوصيه • بعد ذهابه من الدنيا ونزول المنيه ﴾

(قيل) رأى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال يارسول الله أوصني فقال من اعتـدل يوماً فهو مغبون ومن كان غده شراً من يومه فهو ملعون ومن لم يعتقد النقصان في نفسه فهو في نقصان ومن كان في نقصان فالموت خير له (وعن ابن عمر) رضي الله عنهما قال رأيت أبي في المنام بعد موته فقلت له اوصني فقال يابني لا تدع في كل الامور الاستغفار فنعم الهدية للمذنبين (وبلغني) ان أبا بكر بن عياش قال رأيت أبي في منامي ثلاث ليال يقول هذا البيت

وكيف تنام العين وهي قريرة * ولم تدر في أي المحلين تنزل

(ورؤى)أويس القرني رحمة الله عليه في النوم فقيل له اوصني فقال اتبع محبته

واحذر نقمته عند معصيته ولا تقطع رجاءك عنه في خلال ذلك (وقال) محمد ابن الفضل رأيت شقيقا البلخي فقلت له يامعلم الخير أرشدني الى الخير فقال الخير كله في ذكرك لمولاك . والشر كله في حبك لدنياك (ورؤى) الحسن في المنام فقيل له اوصنى فقال عليك بالقرآن وكثرة القربان فان ذينك يقربانك الى الرحمن (ورؤى) على بن أبي طالب كرم الله وجهه في المنام فقيل له يا امير المؤمنين حرف خير تعظني به قال ما رأيت احسن من تواضع الاغنياء للفقراء فقلت زدني قال فأحسن منها تيه الفقراء على الاغنياء ثقة بالله عز وجل

الباب الاربعون

(أشد مصيبة في الاسلام • وفاة خير الانام • محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم)

وتذكر من وفاته ما تشتهي

الباب الحادي والاربعون

(موت أبي بكر الصديق • رضي الله عنه خير صاحب ورفيق • أوقع في قلوب المؤمنين الحريق)

(عن عائشة) رضي الله عنها قالت جلست عند رأسه فجعلت ابكي وأقول

لعمرك ما يغنى الثراء عن الفتى * اذا خرجت يوماً وضاق بها الصدر

فقال لا تقولين ذلك ولكن قولي وجاءت سكرة الموت بالحق ثم ذكر الطيب الخبر وقال اغسلوا ثوبي هذين اللذين عليّ وقال عند الموت وهو ينضنض لسانه هذا الذي اوردني الموارد فرؤى في المنام وسئل عن هذا قال قلت به لا اله الا الله وأوردني الجنة

الباب الثاني والاربعون

(قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب • رضي الله عنه فتت الاكباد وزاد في الاكتئاب)

(قيل) خرج عمر رضى الله عنه يوما يطوف في السوق فلقيه أبولؤلوة غلام المغيرة بن شعبة وكان نصرانيا (٣) فقال ياأمير المؤمنين ثقل عليّ المغيرة بن شعبة قال وكم خراجك قال درهمان في كل يوم قال وأي شيءٌ صناعتك قال أنا نجار نقاش حداد قال ما أرى خراجك يكثر على ماتصنع من هذه الامور لقد بلغني انك تقول لو أردت ان أعمل رحا تطحن بالريح فعلت قال نعم قال فاعمل رحا قال لئن سلمت لاعملن لك رحاً يتحدث بها من المشرق الى المغرب ثم انصرف عنه فقال عمر رضي الله عنه لقد أوعدني العبد آنفا قال ثم انصرف عمر الى منزله فلما كان من الغد جاءه كعب الاحبار فقال ياأمير المؤمنين اعهد انك ميت بعد ثلاث قال وما يدريك قال أجده في كتاب الله المنزل يعني التوراة فقال عمر انك لتجد في كتاب الله عز وجل اسمي واسم أبي في التوراة قال اللهم لا ولكن أجد صفتك وحليتك وانه قد دنا أجلك قال وعمر رضى الله عنه لايحس وجعا ولا ألماً فلما كان من الغد جاء كعب فقال ياأمير المؤمنين ذهب يوم وبقى يومان فلما كان الغد جاء فقال بقي يوم وليلة فلما كان في الصبح خرج عمر رضى الله عنه يوكل بالصفوف رجالا يسوونها فاذا استوت جاء هو وكبر قال ودخل أبو لؤلؤة في الناس وفي يده خنجر له رأسان نصابه في وسطه فضرب عمر رضى الله عنه ست ضربات احداهن تحت سرته وهي التي قتلته وقتل معه كليب بن أبي بكر البشى وكان خليله فلما وجد حر السلاح سقط رضى الله عنه وقال أفي الناس عبد الرحمن بن عوف قالوا نعم ياأمير المؤمنين هو ذا قال تقدم فصل فصلى عبد الرحمن وعمر رضى الله عنه طريح قال ثم حمل عمر رضي الله عنه فادخل الى داره فدعا عبد الرحمن بن عوف فقال اني أريد ان أعهد اليك فقال ياأمير المؤمنين نعم ان أشرت على قبلت قال (٣) فما تريده قال أنشدك بالله لتشير على بذلك قال اللهم لا قال فوالله

لا أدخل فيه أبدا قال فهبني صمتا حتى أعهد الى النفر الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض ادع لي عليا وعثمان والزبير وسعداً وانتظروا أخاكم طلحة ثلاثا فان جاء والا فاقضوا أموركم أنشدك الله ياعلي ان وليت من أمور المسلمين شيئا ان تحمل بني هاشم على رقاب الناس أنشدك بالله ياعثمان ان وليت من أمور المسلمين شيئا ان تحمل بني ابي معيط على رقاب الناس أنشدك الله ياسعد ان وليت من أمور المسلمين شيئا ان تحمل أقاربك على رقاب الناس قوموا شاوروا ثم اقضوا امركم وليصل بالناس صهيب ثم دعا أبا طلحة الانصاري فقال قم على بابهم فلاتدع أحدا يدخل اليهم وأوصى الخليفة من بعدي بالمهاجرين الاولين الذين خرجوا من ديارهم ان يعرف لهم حقهم ويحفظ لهم حرمتهم واوصى الخليفة من بعدي بالانصار الذين تبوؤا الدار والايمان ان يحسن الى محسنهم ويعفو عن مسيئهم واوصى الخليفة من بعدي بالاعراب فانهم مادة الاسلام وان يأخذ من صدقاتهم حقها فتوضع في فقرائهم وأوصى الخليفة بذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يوفى لهم بعهدهم اللهم هل بلغت لقدتركت الخليفة بعدي على أنقى من الراحة ياعبد الله ابن عمر اخرج فانظر من قتلني قال ياأمير المؤمنين قتلك أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة قال الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل سجد لله سجدة واحدة ياعبد الله بن عمر اذهب الى عائشة رضي الله عنها فسلها أن تأذن لي أن أدفن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر ياعبد الله بن عمر اذا اختلف القوم فكن مع الاكثر فان تشاوروا فكن مع الحزب الذي فيه عبد الرحمن بن عوف ياعبد الله ائذن للناس فجعل يدخل عليه المهاجرون والانصار فيسلمون ويقول لهم أهذا عن ملا منكم فيقولون معاذ الله قال ودخل كعب الاحبار مع الناس فلما رآه عمر رضي الله عنه أنشأ يقول

توعدني كعب ثلاثا أعدها * ولاشك ان القول ماقال لي كعب
ومابي حذار الموت اني لميت * ولكن حذار الذنب يتبعه الذنب

ثم دعى اليه الطبيب فسقاه نبيذا فخرج غير متغير فسقاه لبناً فخرج كذلك فقال اعهد ياامير المؤمنين قال قد فرغت ثم توفي ليلة الاربعاء لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ثلاث عشرة ولما طعن عمر رضي الله عنه سمعوا قائلا يقول

عليك سلام من أمير وباركت * يد الله في ذاك الاهاب الممزق
قضيت أموراً ثم غادرت بعدها * بوائح في أكمامها لم تفتق
ومن يسع أو يركب جناحي نعامة * ليدرك ما قدمت بالامس يسبق

ودخل عليه ابن عباس رضي الله تعالي عنه حين طعن فقال أبشر ياأمير المؤمنين أسلمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كفر الناس وقاتلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خذله الناس وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنك راض ولم يختلف في خلافتك رجلان فقال أعد فأعاد فقال عمر رضي الله عنه المغرور من غرر تموه لو ان لى ما على الارض من بيضاء وصفراء لافتديت به من هول المطلع وكان يقول لنفسه الحمد لله الذي لم يخرجني من الدنيا حتى رأيتك مجروحة فطالما جرحتني ثم قال الحمد لله الذي لم يخرجني بمن يحاجني بقول لااله الا الله ثم قال وكان أمر الله قدرا مقدورا ياملك الموت أنا والله منذ عشرين سنة أتأهب لك فناحته الجن

الباب الثالث والاربعون

﴿ قتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان • هو والله من الكبائر والعدوان ﴾

(عن الزهري رضي الله تعالى عنه) قال قلت لسعيد بن المسيب هل أنت مخبري كيف قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه وما كان شأن الناس

وشأنه ولم خذله أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فقال قتل عثمان رضي الله عنه مظلوما ومن قتله كان ظالما ومن خذله كان معذوراً قلت وكيف كان ذلك قال ان عثمان رضي الله تعالى عنه كان يحب قومه فولي الناس اثنتي عشرة حجة وكان كثيراً ما يولي بني أمية ممن لم يكن له مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صحبة وكان يجيء من أمرائه ما يكرهه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عثمان يستغاث فيهم ولا يعزلهم فلما كان في الستة الحجج الاواخر استأثر بني عمه فولاهم واشترط معهم وأمرهم بتقوى الله تعالى وولي ابن أبي سرح مصر فمكث عليها سنين فجاء أهل مصر يشكونه ويتظلمون منه وقد كان من قبل ذلك من عثمان هنات الى عبد الله بن مسعود وابي ذر وعمار بن ياسر وكان بنو هذيل وبنو زهرة في قلوبهم مافيها لاجل عبد بن مسعود وكانت بنو غفار وأحلافها ومن غضب لأبي ذر في قلوبهم مافيها وكانت بنو مخزوم قد حنقت على عثمان لاجل عمار بن ياسر وجاء أهل مصر يشكون ابن أبي سرح فكتب اليه كتابا يتهدده فابى ابن ابي سرح ان يقبل مانهاه عنه عثمان بن عفان وضرب بعض من أتاه من قبل عثمان من أهل مصر فقتله فخرج من أهل مصر سبعمائة رجل الى المدينة فقدموها ونزلوا المسجد وشكوا الى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مواقيت الصلاة ما فعله ابن أبي سرح بهم فقام طلحة بن عبيد الله فكلم عثمان بكلام شديد وأرسلت عائشة رضي الله عنها اليه تقول قد قدم عليك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسألوك عن هذا الرجل فابيت الا حمايته فهذا قد قتل منهم رجلا فانصفهم من عاملك ودخل عليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكان متكلم القوم فقال انما سألوك رجلا مكان رجل وقد ادعوا قبله دما فاعزله عنهم واقض بينهم فان وجب عليه حق فانصفهم منه فقال لهم اختاروا رجلا أوله

عليكم مكانه فأشار الناس بمحمد بن أبي بكر فقالوا استعمل علينا محمد بن أبي بكر فكتب عهده وولاه وخرج معه عدة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والانصار ينظرون فيما بين أهل مصر وابن أبي سرح فخرج محمد ومن تبعه فلما كانوا على مسيرة ثلاثة ايام من المدينة اذاهم بغلام أسود على بعير يخبط الارض خبطاً كانه رجل يطاب أو يطاب فقال له أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قصتك وما شأنك كأنك هارب أو طالب فقال لهم الغلام أنا غلام لأمير المؤمنين وجهني الى عامل مصر فقال له رجل من القوم هذا عامل مصر معنا قال ليس هذا الذي أريده فأخبروا بأمره محمد بن أبي بكر فقال للغلام من أنت فاقبل مرة يقول أنا غلام أمير المؤمنين ومرة يقول أنا غلام مروان حتى عرفه رجل من القوم انه غلام لعثمان بن عفان رضي الله عنه فقال له محمد الى من أرسلت قال الى عامل مصر قال بماذا قال برسالة قال معك كتاب قال لا ففتشوه فلم يجدوا معه كتابا وكانت معه اداوة قد يبست فيها شيء يتقلقل فحركوه ليخرج فلم يخرج فشقوا الاداوة فاذا فيها كتاب من عثمان رضي الله عنه الى ابن أبي سرح فجمع محمد من كان معه من المهاجرين والانصار وغيرهم ثم فك الكتاب بحضر منهم فاذا فيه اذا أتاك محمد وفلان وفلان فاحتل لقتلهم وأبطل كتابه وقر على عملك حتى يأتيك رأيي في ذلك ان شاء الله فلما قرؤا الكتاب فزعوا ورجعوا الى المدينة فختم محمد الكتاب بخواتيم نفر ممن كانوا معه ودفع الكتاب الى رجل منهم وقدموا المدينة فاجتمعوا الى طلحة والزبير وعلى وسعد ومن كان من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم فكوا الكتاب بحضر منهم فاخبروهم بقصة الغلام واقرؤهم الكتاب فلم يبق احد من اهل المدينة الا حنق على عثمان رضي الله عنه وزاد ذلك من كان غضب لابن

مسعود وابي ذر وعمار حنقا وغيظا وقام أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلحقوا بمناز لهم وما منهم أحد الا مغتم لما قرؤا الكتاب وحاصر الناس عثمان رضي الله عنه وأجلب عليه محمد بن ابي بكر بنى تميم وغيرهم وأعانهم على ذلك طلحة بن عبيد الله وكانت عائشة رضى الله عنها تقرضه كثيرا فلما رأى ذلك علي رضى الله تعالى عنه بعث الى طلحة والزبير وسعد وعمار ونفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم بدري ثم دخل على عثمان رضي الله عنه ومعه الكتاب والغلام والبعير فقال له علي هذا الغلام غلامك قال نعم قال وهذا البعير بعيرك قال نعم قال فاستكتبت هذا الكتاب قال لا وحلف بالله ما كتبت هذا الكتاب ولا أمرت به ولا علم لي به فقال له علي الخاتم خاتمك قال نعم فقال له علي كيف يخرج غلامك ببعيرك بكتابك وهذا الخاتم عليه خاتمك لا تعلم به فحلف بالله ما كتبت هذا الكتاب ولا أمرت به ولا وجهت هذا الغلام الى مصر قط وأما الخط فعرفوا انه خط مروان وشكوا في امر عثمان رضي الله عنه وسألوه ان يدفع اليهم مروان فابي وكان مروان عنده في الدار فخرج اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم غضابا وشكوا في امره وعلموا ان عثمان رضي الله عنه لا يحلف بالله باطلا الا ان قوما قالوا لا نبرئ عثمان الا ان يدفع الينا مروان حتى نمتحنه ونعرف حال الكتاب وكيف يقتل رجال من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير حق فان يك عثمان كتبه عزلناه وان يك مروان كتبه على لسان عثمان نظرنا ما يكون منا في أمره فأبي عثمان رضي الله عنه ان يخرج اليهم مروان وخشي عليه القتل وحاصر الناس عثمان رضي الله عنه ومنعوه الماء فأشرف على الناس فقال أفيكم سعد قالوا لا فسكت ثم قال ألا أحد يبلغ عليا فيسقينا ماء فبلغ ذلك عليا رضي الله عنه فبعث اليه بثلاث قرب مملوة ماء فما كادت

تصل اليه حتى جرح بسببها عدة من موالي بني هاشم وبني أمية حتى أوصلوا اليه الماء ثم بلغ عليا ان عثمان يراد قتله فقال انما أردنا منه مروان فأما قتل عثمان فلا وقال للحسن والحسين رضي الله عنهما اذهبا بسيفكما حتى تقفا على باب عثمان فلا تدعا أحداً يصل اليه بمكروه وبعث الزبير ابنه وبعث عدة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبناءهم يمنعون الناس ان يدخلوا على عثمان ويسألوه اخراج مروان فلما رأى ذلك الناس رموا باب عثمان بالسهام حتى خضب الحسن بن علي بدمائه وأصاب مروان سهم وهو في الدار وكذلك محمد ابن طلحة وشج قنبر مولى علي فلما رأى ذلك محمد بن أبي بكر خشى ان يغضب بنو هاشم لاجل الحسن والحسين فتنتشر الفتنة فأخذ بيد رجلين من أهل مصر فقال لهم ان جاءت بنو هاشم فرأوا الدم على وجه الحسن والحسين كشفوا الناس عن عثمان وبطل ماتريدون ولكن مروا بنا حتى نتسور عليه الدار فنقتله من علو حتى لا يعلم من الناس أحد فتسور محمد وصاحباه من دار رجل من الانصار حتى دخلوا على عثمان وما يعلم أحد ممن كان معه لان كل من كان معه كان فوق البيوت ولم يكن معه الا امرأته فقال لهما محمد مكانكما فان معه امرأته فقفا حتى أبدأ كما بالدخول فاذا أنا أضبطه فادخلا حتى تقتلاه قال فدخل محمد بن أبي بكر فاخذ بلحيته فقال له عثمان والله لو رآك أبوك لساءه مكانك مني فتراخت يده ودخل الرجلان عليه فقتلاه وخرجا هاربين من حيث دخلوا وصرخت امرأته فلم يسمع صراخها أحد لما كان في الدار من الجلبة فصعدت امرأته الى الناس فقالت ان أمير المؤمنين قد قتل فدخل عليه الحسن والحسين ومن كان معهما فوجدوه مذبوحا فانكبوا عليه يبكون فبلغ الخبر علي بن أبي طالب رضي الله عنه وطلحة والزبير وسعداً ومن كان بالمدينة فخرجوا وقد ذهبت عقولهم بالخبر الذي أتاهم حتى دخلوا على عثمان رضي الله عنه فوجدوه

مقتولا فاسترجعوا وقال علي رضي الله عنه لابنيه كيف قتل أمير المؤمنين وأنتما على الباب فرفع يده فلطم الحسن وضرب صدر الحسين و شتم محمد بن طلحة ولعن عبد الله بن الزبير وخرج علي بن ابي طالب كرم الله وجهه وهو غضبان وكان علي يرى ان طلحة اعان على قتله فقال طلحة مالك ياأبا الحسن ضربت الحسن والحسين قال عليك لعنة الله ألا يسوءني قتل أمير المؤمنين رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بدري لم يقم عليه بينة ولا حجة فقال طلحة لو دفع مروان لم يقتل فقال علي رضى الله عنه لو أخرج اليكم مروان قتل قبل ان تثبت عليه حجة وخرج علي رضى الله عنه وأتى منزله وجاء الناس كلهم يهرعون الى علي كرم الله وجهه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيرهم يقولون أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فقال علي ليس ذلك اليكم انما ذلك الى أهل بدر فمن رضي به أهل بدر فهو خليفة فلم يبق أحد من أهل بدر الا أتى عليا فقالوا مانرى أحدا أحق بها منك مد يدك نبايعك فقال اين طلحة والزبير وكان أول من بايعه طلحة بلسانه وسعد بيده ولما رأى ذلك علي خرج الى المسجد فصعد المنبر وكان اول من صعد المنبر طلحة فبايعه بيده وكانت اصبع طلحة شلاء فتطير منها علي بن ابي طالب رضي الله عنه وقال ماأخلقه ان ينكث ثم بايعه الزبير وسعد واصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم جميعا ثم نزل ودعا الناس وطلب مروان فهرب منه وطلب نفرا من ولد مروان وبني أبي معيط فهربوا منه وخرجت عائشة رضى الله عنها باكية تقول قتل عثمان مظلوماً فقال لها عمار بن ياسر بالامس تحرضين عليه وانت اليوم تبكينه وجاء علي بن ابي طالب رضى الله عنه الى امرأة عثمان فقال لها من قتل عثمان فقالت لا أدرى دخل عليه رجلان لا أعرفهما الا اني أرى وجوههما وكان معهما محمد بن أبي بكر واخبرت علياً

والناس بما صنع محمد قال فدعا علي رضي الله عنه محمداً فسأله عما ذكرت امراة عثمان رضى الله عنه فقال لم تكذب قدوالله دخلت عليه وأنا أريد قتله فذكرلي أبي فقمت عنه وانا تائب والله ما قتلته ولا أمسكته فقالت امرأة عثمان صدق ولكنه أدخلهما (وفي رواية) أن محمد بن ابي بكر ضرب بيده الى لحية عثمان وقال كيف ترى ما صنع الله بك فقال ماصنع ربي الا خيراً فاتق الله وذر لحيتي فان أبا بكر لو كان حيا لم يأخذها أبداً وكان قد تناول عثمان مصحفه عن يمينه وولي سنة أربع وعشرين فولي ثنتي عشرة سنة ثم قتل صبيحة الجمعة لثماني عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين وهو ابن ثنتين وثمانين سنة (وعن) محمد بن عبد الملك بن محمد باسناده عن هشام بن عروة عن أبيه قال لما قتل عثمان رضي الله عنه بقي ثلاثا لا يدفنونه حتى هتف بهم هاتف يقول ادفنوه ولا تصلوا عليه فان الله تعالى قد صلى عليه وعن (أبي قلابة) قال كنت أطوف في طوفتي فسمعت رجلا يقول ياويلاه النار النار فخرجت لانظر اليه فاذا أنا برجل مقطوع اليدين والرجلين منكب على وجهه فقلت ياعبد الله ماحالك قال كنت فيمن دخل على عثمان يوم الدار وقد هممت ان أدنو منه منهم فصرخت امرأته وأقبلت علينا فلطمتها فنظرت الى عثمان فتغرغرت عيناه فقال لي مالك وما شأنك أشل الله يديك ورجليك وأعمى بصرك وأدخلك نار جهنم قال فأخذتني الساعة رعدة شديدة فخرجت هاربا من دعوته فلما صرت الى هذا المكان أتاني آت فصنع بي ماترى فقد استجاب الله دعاءه كما ترى فما بقي الا النار فقلت له بعدا وسحقا (وأنشد فيه)

وكف يديه ثم اغلق داره * وأيقن ان الله ليس بغافل

وقال لمن في الدار ان لاتقاتلوا * عفا الله عن كل أمرئ لم يقاتل

(وقيل) بعث علي رضي الله عنه اليه الحسن فقال اني أرى هؤلاء القوم

أزمعوا على قتلك أفتحب ان أنصرك فقال لا أريد لانى قد رأيت رسـول الله صلى الله عليه وسـلم في منامي فقال لي ياعثمان ان أنت قاتلهـم نصرتك عليهم فان لم تقاتلهم فأنت مفطر عندي وقدأردت الافطار عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فسكت الحسن وانصرف الى أبيه وأخبره بذلك

الباب الرابع والاربعون

(قتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب • وهن فى الدين من كل جانب)

(عن) أبي صالح قال كتب امير المؤمنين رضي الله عنه الى محمد بن أبي بكر سلام عليك فانى احمد اليك الله الذي لااله الا هو أما بعد فاذا اتاك كتابي هذا فابعث اليّ تسـعة نفر من أشراف مصر فلما ورد الكتاب عليـه بعث بهم وفيهم عبد الرحمن بن ملجم المرادي فلما قدموا على امير المؤمنـين نظر اليهم والى عبد الرحمن بن ملجم المرادي فعرفه بنعته فقال له من انت قال انا عبد الرحمن بن ملجم المرادي فقال امير المؤمنين

اشدد حيا زيمك للمو * ت فان المـوت لاقيكا
ولا تجزع من المو * ت اذا حـــل بناديكا

(فقال) عبد الرحمن بن ملجم يا امير المؤمنين والله ماجزعت من الموت فحمله على فرس وكساه حلة حبر وكان لايدخل على علي رضى الله عنه الا قال

أريد حيـاته ويريد قتـلي * عذيرك من خليلك من مراد

فلم يزل معه ولا يعرف أحد تأويل هـذه الابيات حتى قتل قال فبيناهو ذات يوم اذ قال له أمير المؤمنين ياابن ملجم هل كان لك لقب في صـغرك قال لم يكن ياأمير المؤمنـين قال بلى كان ألست كنت سميت شقيق الشقي عاقر ناقة ثمود قال بلى ياأمير المؤمنـين وقد كان أمير المؤمنين يكرمه

ويلاطفه حتى لعن الله أهل النهروان والقى عليهم الخزي وقد خرج ابن خباب ابن الارتّ متوجها الى أمير المؤمنين فأخذه الخوارج فقتلوه وكان خباب من أصحابه وشهد على قتلهم اياه خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين ورجال معه فأتى أمير المؤمنين بعظم ودم وأتى بابن خباب مقتولا فركب اليهم أمير المؤمنين وكان رئيسهم عبد الله بن وهب الراهبي فسألهم الدية فقالوا ليس منا رجل الا وقد رضي بقتله فاغتم علي رضي الله عنه فخرج اليهم وكبر ثلاثاً حتى أخزاهم الله ولعنهم وافناهم الناس بسيوفهم فلما كان يوم الثالث من شهر رمضان ركب عبد الرحمن بن ملجم فجعل يطوف في سكك الكوفة اذ هو بامرأة يقال لها قطام وكانت تميمية فوقف عبد الرحمن بن ملجم بحذائها فاعجبه حسنها وجمالها فقال لها أيم أنت أم ذات بعل قالت أيم قال لها تزوجين نفسك مني فقالت من أنت قال أنا عبد الرحمن بن ملجم فقالت كفء كريم ولكن جعلت على نفسي ان لا ينكحني أحد الا بصداق ثلاثة آلاف دينار فقال عبد الرحمن لك ذلك قالت وعبد وقينة قال لك ذلك قالت وقتل علي بن ابي طالب فاقشعر جلده وتغير لونه لما دخل عليه من قولها فقال لها ويحك ماتريدين من قتل علي بن ابي طالب وقد بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بشروا قاتل علي بالنار فقالت المرأة كن كما أنت حتى أخرج اليك فدخلت بيتها ولبست ثيابا رقاقا وتزينت وتعطرت وتحسنت ثم خرجت اليه فجعلت تكلمه حتي عشقها فقال لها خصلة قالت وماهي قال تصالحيني على ضربة واحدة قالت نعم فوق العاتق وفي بعض الروايات أن عبد الرحمن قال لها حدثيني كيف أولعت بقتل علي من بني هاشم قالت انه قتل أبي وأخي يوم النهروان وتركني فريدة لايحميني أحد قال فتزوجها على ماأرادت من المهر ووفاها اياه غير الضربة فلما مضى من الشهر يعني شهر رمضان ستة عشر يوما صلى علي رضي الله عنه بالناس صلاة العصر فلما قضى

صلاته التفت الى الحسن رضى الله عنه فقال ياأبا محمد كم مضى من شهر كم هذا فقال الحسن رضى الله عنه ستةعشر يوما ثم التفت الى الحسين رضى الله عنه فقال له أيضا كذلك فقال الحسين رضى الله عنه مثل ماقال الحسن رضى الله عنه فقال علي انا لله وانا اليه راجعون أما والله لتفقدون أباكم فيما بينكم وبين العشرين فبادروه ماذا تقول ياأمير المؤمنين قال اني سمعت خليلي أبا القاسم صلى الله عليه وسلم يخبر عن خليله جبريل صلوات الله وسلامه عليه اني أقتل في هذه الليلة قالوا ياأمير المؤمنين أفلا نحرسك قال سبحان الله أمن أهل السماء تحرسوني أم من أهل الارض قالوا من أهل الارض قال فانه لا يكون شئ في الارض الا بقضاء الله تعالى في السماء فاذا قضى في السماء نزل الى الارض وان لله تعالى عليّ لجنة حصينة لايخلص اليّ معها شئ فاذا انكشفت الجنة خلص الامر ولا يؤمن عبد حتى يستيقن حقا يقينا ان ما أخطأه لم يكن ليصيبه وما أصابه لم يكن ليخطئه فلما سمعوا مقالته سكتوا قال فدخل ابن ملجم على المرأة تلك الليلة فكان منه مايكون للرجل من المرأة غير المباشرة فلما كان عند السحر قالت قم ياهذا الى حاجتنا وقد كانت أعدت سيفا مسموما وقالت خذ هذا السيف واخرج في أمرك فانك ستجده في المسجد فخرج عبد الرحمن فانطلق حتى انتهي الى المسجد والسيف في يده وكان أمير المؤمنين رضى الله عنه لايخرج الا ومعه السيف الا تلك الليلة فانه خرج فى ازارورداء وبيده قضيب وهو يقول خلوا سبيل المؤمن المجاهد في الدين لايعبد غير الواحد يالها صوائح ويتبعها نوائح الصلاة يرحمك الله الصلاة ثم دخل المسجد من الباب الصغير فقام اليه ابن ملجم فضربه ضربة على هامته على الموضع الذي كان ضربه عمرو بن عبدود فقال علي بسم الله الله أكبر أوجعتني أيها الشقي صدق خليلي أبو القاسم صلى الله عليه وسلم ثم وقع

مغشيا عليه وهرب الشقي فأخذه رجل من همذان فقال له ياشقي قتلت أمير المؤمنين فأراد ان يقول لا فقال نعم فجعل عمامته في عنقه ورده الى المسجد فلما نظر اليه على رضى الله عنه قال له ياعدو الله ألم أكرمك ألم أحسن اليك ألم ألم ثم أمر به الى الحبس ثم أقبل على الحسن رضى الله عنه وقال يابني ان انا عوفيت ولن أعافي منها فخلوا سبيله فقد كان لا يبكم عون صدق (٣) وان مضيت لسبيلي فاضربوه ضربة واحدة لا تزيدوا عليها فلما سمع أمير المؤمنين رضى الله عنه أصوات النساء دعا أم كلثوم فقالت ياأبتاه الى من تكل هؤلاء الضعفاء فقال الى من وكلهم اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اخرجوا عني ساعة فخرجوا عنه فسمعوا نداء من داخل البيت أفمن يلقي في النار خير أم من يأتي آمنا يوم القيامة اعملوا ما شئتم انه بما تعملون بصير ثم لم يزل يقول لا اله الا الله محمد رسول الله حتى فارق الدنيا ثم غسلوه وكفنوه وحنطوه وصلوا عليه ودفنوه ليلا فلما فرغوا من دفنه أراد الحسن ان ينفذ وصية أبيه في الشقي ابن ملجم فأبي ذلك الحسين ومحمد وشعبة وقالوا والله لو اشترك الخافقان في دم امير المؤمنين لقتلناهم فكيف هذا الشقي وحده فضربوه حتى قتلوه وقام الحسن بالامر بعد أبيه (وقيل) لم يولد في بيت ابن ملجم من ذلك اليوم ذكر الا صار مجذوما وفي ذلك يقول الشاعر

فلم أر مهرا ساقه ذو سماحة * كمهر قطام من فصيح وأعجم
ثلاثة آلاف وعبد وقينة * وضرب على بالحسام المسمم
فلا مهر أغلى من على ولو غلا * ولا فتك الا دون فتك ابن ملجم

(قيل) قال له رجل من الخوارج انك ميت قال كلا مقتول والذي نفسي بيده بل مقتول ضربة على هذه تخضب منها هذه وأشار الى رأسه ولحيته عهد معهود وقضاء مقضى وقد خاب من افتري وقال له رجل الا تستخلف قال لا

ولكن أترككم الى ماترككم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يقول في خطبه آخر عمره اللهم إني سئمتهم وسئموني ومللتهم فارحمني منهم وارحمهم مني واستخلف خمس سنين الاشهرين وقتل في شهر رمضان قبل دخول العشر الاواخر في سنة أربعين رضى الله عنه وكرم وجهه (وعن منصور بن عمار) رحمه الله قال سحت على شاطئ البحر فأتيت على دير وفى الدير صومعة فيها راهب فناديته فأشرف على فقات من أين يأتيك طعامك قال من مسيرة شهر قلت حدثني بأعجب مارأيت من هذا البحر قال ترى تلك الصخرة في وسط البحر وأومأ بيده الي صخرة في وسط البحر قلت نعم قال يخرج كل يوم من هذا البحر طائر مثل النعامة يعني كبيرا فيقع عليها فاذا استوى تقايأ رأس انسان ثم تقايأ يدا ثم رجلا ثم يدا ثم تلتئم الاعضاء بعضها الى بعض ثم يستوي انسانا قاعدا ثم يهم للقيام فاذاهم للقيام نقره نقرة فأخذ رأسه ثم اخذ عضوا عضوا كما قاء فلما طال علي ناديته يوما وقد استوى جالسا من أنت فالتفت وقال انا عبد الرحمن بن ملجم قاتل على بن ابي طالب كرم الله وجهه ورضى عنه وكل الله بي هذا الطير يفعل بي ماترى كل يوم الى يوم القيامة

الباب الخامس والاربعون

(قتل السيد الحسن • أورث الكمد والحزن)

(قيل) ان الحسن رضى الله عنه كان جالسا في مسجد جده صلى الله عليه وسلم بعد ماصلى العصر فاذا رجل اعمى دخل من باب المسجد فقال أيكم الحسن بن علي فقال الحسن ها أنا ذا فقال السلام عليك ياسليل النبوة ومعدن الرسالة وذرية خير البشر وسيد شباب أهل الجنة انا رجل قريب عهد بالعمي بلغني ان من ضمكم الى نفسه او ضممتوه الى انفسكم ممن به آفة أو علة فرج الله

عنه ببركة أرواح أبدانكم الطاهرة فما عليك لو ضممتني الى نفسك لعل الله تعالى يرد على نور بصري قال فقام الحسن رضي الله عنه فأخذ بيده وأخرجه من المسجد وأخذ يضمه الى نفسه قال فعمد الاعمى الى عصا له في رأسها زج من حديد مسموم فوضعه على ظهر قدم الحسن فغرزه فيه وشد عليه فقال الحسن ما الذي صنعت قال عمدا لنستريح منك قال فامض على وجهك يا قليل العقل فاني أخاف عليك ابن أبي ردام(٣) وقام الحسن قائما على باب المسجد حتى توارى الرجل من بين عينه ثم وضع باطن قدمه اليمنى على ظهر قدمه اليسري على موضع الجراحة كي يمسك الدم فلما حمل الى منزله قام ليلته كلها يصلي ولم يدع ورده ونصيبه من القيام فلما انتصف الليل ضعف وعجز عن القيام فجلس وما زال يقرأ ويركع حتى أصبح وبلغ به الوجع غايته فنظر الى الجراحة فاذا الحديدة كانت مسمومة واذا السم انتشر في بدنه وانتفخ بدنه فلما أيس منه قيل له أوص فدعا بالحسين ودعا بأولاده وقال أوصيكم بتقوى الله وحفظ حرماته والتمسك بسنن جدنا المصطفى صلى الله عليه وسلم هذه وصيتي فيكم فقالوا له أخبرنا من الذي صنع بك هذا قال ان الذي صنع بي هذا أمره الى الله وسيندم عن قريب واني لأكره ان أدلكم عليه قالوا فما نصنع ان ظفرنا بقاتلك قال لاتتعرضوا له بمكروه فاني عفوت عنه وجعلته في حل وسعة فمن خاصمه فانا خصمه يوم القيامة ثم قال اني لم أنتقم في الدنيا ممن عاداني (ووقف) محمد بن الحنفية يوماً على قبره فقال لئن غدرت بحياتك لقد هدتني وفاتك فلنعم القبر قبر يضمك ولنعم الكفن كفن ضم بدنك ولنعم البدن بدن ضم روحك وكيف لاتكون كذلك وأنت سليل الهدى وخليفة أهل التقوى وخامس أصحاب الكساء وجدك المصطفى وأبوك الوارد على الحوض غدا وأمك خيرة النساء وقد رضعت ثدي الايمان وربيت في

حجر الاسلام فطبت حيا وميتا وان كانت أنفسنا غير طيبة عنك ولا مشاكلة لك في الجنان أنت وأخوك سيدا شباب أهل الجنة

﴿ الباب السادس والاربعون ﴾

(قتل الامام الحسين . أحرق كل قلب وأبكى كل عين)

(قيل) قدم على الحسين رضى الله تعالى عنه رجل من الكوفة فقال له الحسين من أين أقبلت قال من الكوفة حين نظرت الى مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة المذحجي قتيلين مصلوبين منكبين في السوق للقصابين وقد وجه بهما الى يزيد بن معاوية فاستعبر الحسين رضي الله عنه باكيا ثم قال انا لله وانا اليه راجعون ثم تحرك وعزم على المسير الى العراق مع مواليه وشيعته فدخل عليه عمر بن الحارث بن هشام المخزومي ثم جاءه عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما لما سمع انه رضي الله عنه خارج الى الكوفة فقال له كلاهما له اعلم انك تسير الى قوم قتلوا أميرهم وفي ذلك البلد قتل أبوك وابن عمك واغتيل فيه أبوك والناس انما هم عبيد الدنيا والدينار فاتق الله والزم هذا الحرم فقال لهما الحسين يا ابني العم لأن أقتل بالعراق أحب اليّ من ان اقتل بمكة وما قضي الله فهو كائن وانا مع ذلك أستخير الله تعالى وأنظر ما يكون فقال ابن عباس فان كان لا بد من المسير الى العراق فلا تسر بأولادك ونسائك فاني خائف عليك ان تقتل كما قتل عثمان بن عفان وأهله وولده ينظرون اليه ولا يقدرون له على حيلة قال الحسين رضي الله عنه استخير الله جلت عظمته في هذا الامر وأنظر ما يكون فخرج عبد الله بن عباس من عنده وهو يقول واحسيناه ثم جمع الحسين أصحابه الذين قد عزموا على الخروج معه الى العراق وأعطى كل واحد منهم عشرة دنانير وجملا يحمل عليه رحله وزاده ورحل عن مكة يوم الثلاثاء يوم التروية لثمان

مضت من ذي الحجة ومعه اثنان وثمانون رجلا من شيعته ومحبيه ومواليه وأهل بيته فسار حتى صار بذات عرق فلقيه رجل من بني أسد فقال من أين أقبلت قال من العراق قال كيف خلفت أهل العراق قال يابن رسول الله خلفتهم والقلوب معك والسيوف مع بني أمية فقال له الحسين ان الله يفعل مايشاء ويحكم مايريد واتصل الخبر بالوليد بن عتبة أمير المدينة أن الحسين قد توجه نحو العراق فكتب الى عبيد الله بن زياد بسم الله الرحمن الرحيم من الوليد بن عتبة الى عبيد الله بن زياد أما بعد فان الحسين بن على توجه نحو العراق وهو ابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم واحذر يابن زياد ان تأتي اليه سوأ أو مكروها فتهيج على نفسك في هذه الدنيا مالا يسده شئ ولا ينساه الخاصة والعامة أبداً مادامت الدنيا والسلام فلم يلتفت عبيد الله بن زياد الى كتاب الوليد بن عتبة فسار الحسين حتى نزل الثعلبية وذلك في وقت الظهر ثم وضع الحسين رضى الله عنه رأسه فرقد ثم انتبه من نومه باكياً فقال له ابنه على رضى الله عنه يا أبت لا أبكي الله عينك فقال الحسين يابني قد رأيت فارساً على فرس وقد وقف علي فقال ياحسين انكم تسرعون المسير والمنايا تسرع بكم الى الجنة فعلمت ان أنفسنا قد نعيت الينا فقال له يا أبت أفلسنا على الحق قال نعم والذي اليه المرجع فقال علي يا أبت فاذاً لا نبالي بالموت ثم سار حتى نزل بالصفاح فاذا هو بالفرزدق بن غالب الشاعر قد أتاه فسلم عليه ثم دنا منه فقبل يده فقال له الحسين رضي الله عنه من أين أقبلت ياأبا فراس قال من الكوفة قال كيف خلفت أهل الكوفة قال خلفتهم وقلوب الخلق معك وسيوفهم مع بني أمية والقضاء ينزل من السماء والله يفعل في خلقه مايشاء وربنا كل يوم هو في شأن فان نزل القضا بما نحب فالحمد لله على نعمائه وهو المستعان على أداء الشكر وان حال القضاء دون الرجاء فلم نبعد من

الحق نيته وسار الحسين رضى الله عنه حتى نزل قصر ابن مقاتل فاذا فسطاط مضروب ورمح مركوز وفرس واقف فقال الحسين رضي الله عنه لمن هذا الفسطاط قالوا لعبيد الله بن الحر الجعفي فأرسل اليه الحسين رضي الله عنه رجلا من أصحابه يقال له الحجاج بن مسروق الجعفي فاقبل فسلم عليه فرد عليه السلام ثم قال ما وراءك فقال الحجاج ورائي ياابن الحر أن الله قد أهدى اليك كرامة ان قبلتها فقال وما تلك الكرامة فقال هذا الحسين بن علي رضي الله عنهما يدعوك الى نصرته فان قاتلت بين يديه أجرت وان قتلت بين يديه استشهدت فقال له عبيد الله بن الحر والله ياحجاج ماخرجت من الكوفة الا مخافة أن يدخلها الحسين وأنا فيها ولا أنصره لانه ليس في الكوفة شيعة ولا أنصار الا مالوا الى الدنيا الا من عصم الله منهم فارجع اليه وأخبره بذلك فاقبل الحجاج الى الحسين رضي الله عنه فأخبره بذلك فقام الحسين وانتقل ثم سار اليه فى جماعة من اخوانه وأهل بيته فلما دخل وسلم وثب عبيد الله ابن الحر عن صدر مجلسه وقبل يديه ورجليه وجلس الحسين رضي الله عنه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ياابن الحر ان أهل مصركم هذا كتبوا الى وأخبروني انهم مجمعون على نصرتي وسألوني القدوم اليهم وقدمت وليس الامر على مازعموا وأنا أدعوك الى نصرتنا أهل البيت فان أعطينا حقنا حمدنا الله تعالى على ذلك وقبلناه وان منعنا حقنا وركبنا الظلم كنت من أعواني على طلب الحق فقال عبيد الله ياابن رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان لك في الكوفة شيعة وأنصار يقاتلون معك لكنت أنا من أشدهم على ذلك ولكني رأيت شيعتك بالكوفة وقد فارقوا منازلهم خوفا من سيوف بني أمية فلم يجبه الى ذلك وسار الحسين رضي الله عنه حتى اذا كان على مرحلتين من الكوفة اذ بعث عبيد الله بن زياد الى حرب الحسين رضي الله عنه الحر في ألف

فارس شاكي السلاح فلما نظر اليهم الحسين رضي الله عنه وقف في أصحابه ووقف الحر بن يزيد الرياحي في أصحابه فقال الحسين رضي الله عنه أيها القوم من أنتم قالوا نحن أصحاب الامير عبيد الله بن زياد فقال الحسين رضي الله عنه ومن قائدكم قالوا الحر بن يزيد فناداه الحسين رضى الله عنه وقال ويحك ياحر لنا أم علينا فقال الحر عليك يا أبا عبد الله فقال الحسين لاحول ولا قوة الا بالله ودنت صلاة العصر وأمر الحسين بالاذان وصلى صلاة العصر بالعسكرين جميعاً ثم وثب قائما وقال اني لم أقدم هذا البلد حتى أتتني كتبكم فان كنتم على ماقلتم واعطيتموني ما أطمئن اليه وأثق به من عهودكم ومواثيقكم أدخل معكم مصركم وان لم تفعلوا وكنتم كارهين لقدومي عليكم انصرفت والسلام فسكت القوم ولم يجيبوه بشيء وورد كتاب عبيد الله ابن زياد الى الحر بن يزيد أن الزموا الحسين وأصحابه ولا تفارقوه حتى تأتيني به فاني قد أمرت رسولي أن يلزمك ولا يفارقك حتى تفعل ما أمرتك والسلام فقال الحر لا والله لا يكون ذلك والله ان نفسي لاتطاوعني ولا تجيبني الى ذلك ولما صلوا صلاة العصر وراء الامام الحسين رضى الله عنه قال له الحر بن يزيد انا قد أمرنا ان لقيناك أن لانفارقك حتى نقدم بك على الامير قال فتبسم الحسين ثم قال يا ابن يزيد أما تعلم ان الموت أدنى من ذلك ثم التفت الحسين رضى الله عنه الى أصحابه فقال اركبوا واحملوا النساء فركبوا وساقوا النساء بين أيديهم فحالوا بينهم وبين المسير فقال الحر لا بدلي من أن انطلق بك الى عبيد ابن زياد فقال والله لا أتبعك أو تذهب نفسي وأنفس أصحابي فقال الحر اني لم أومر بقتالك فخذ طريقاً غير هذا الطريق وامض حيث شئت حتى أكتب الى ابن زياد ان الحسين رضى الله عنه خالفني الطريق فلم أقدر عليه وأنا أنشدك الله في نفسك فقال له الحسين ياحر كأنك تحدثني بأني مقتول قال نعم والله يا أبا عبد الله ما أشك

في ذلك إلا أن ترجع حيث جئت ثم أقبل الحسين رضي الله عنـه حتى سار من وراء غدير العذيب والقادسية فظهر له الحر بن يزيد أيضاً فقال له الحسين قد أمرتنا ان نأخذ على غير هذا الطريق فأخذنا وقبلنا مشورتك فقال صدقت ولكن هذا كتاب عبيد الله بن زياد وقد قدم علي يؤنبني ويضعفني فى أمرك فاقبل على الحسـين رجل من أصحابه يقال له زهير بن القين البجلي فقال له يا ابن رسول الله ذرنا حتى نقاتل هؤلاء القوم فان قتالنا اياهم الساعة أهون علينا من قتال من يأتينا من بعدهم فقال صدقت يا زهير ولكن ما كنت بالذي أبدؤهم بقتال حتى يبـدؤني فقال زهـير فسر بنا حتى ننزل بكربلاء فانها على شاطئ الفرات فنكون هنالك فان قاتلونا قاتلناهم واستعنا بالله عليهـم فدمعت عينا الحسين رضى الله عنه ثم قال اللهم اني أعوذ بك من الكرب والبلاء ونزل الحر ابن يزيد حذاءه في ألف فارس وكتب الحسين الى أشراف الكوفة ممن كان يظن أنهم على رأيه وهواه وسلم الكتاب الى رجل من شيعته فلما وصل باب الكوفة لقيه بعض الاعداء وحمله الى عبيد الله بن زياد فقتله . ثم جمع الحسين رضى الله عنه ولده واخوته وأهل بيته رضى الله عنهم أجمعين ثم نظر اليهم فبكى ساعة ثم قال اللهم انا عـترة نبيك وولده وأهل بيتـه وقد أخرجنا وطردنا وأزعجنا عن حرم جدنا صلى الله عليه وسلم وتعدت بنو أمية علينا اللهم فخذ بحقنا وانصرنا على القوم الظالمين ثم نادى في أصحابه ورحل من موضعه ذلك حتى نزل بكربلاء ثم قال هذا كرب وبلاء ههنا مناخ ركابنا ومحط رحالنا ومقتل رجالنا ومسفك دمائنا قال فنزلوا وحطوا الأثقال ناحيـة من الفرات فجعل النساء يبكين ويلطمن الخـدود ويشققن الجيوب وجعلت أم كلثوم تنادي وامحمـداه . واأبا القاسماه . واعلياه . واأمي وأمياه . واأخي واأختاه . واحسيناه . واضيعتاه بعدك يا أبا عبد الله فعزاها وصبرها الحسين رضى الله

عنه وقال يا أختاه تعزي بعزاء الله وارضى بقضاء الله فان سكان السموات يفنون وأهل الارض يفنون وجميع البرية لا يبقون كل شئ هالك الا وجهه وجميع الخلق اليه يرجعون ثم قال رضى الله عنه يا أختاه يا أم كلثوم ويا زينب ويا فاطمة ويا رباب انظرن اذا أنا قتلت فلا تشققن عليّ جيبا ولا تخمشن عليّ وجها ولا تقلن هجرا . وأقبل الحر حتى نزل حذاء الحسين رضى الله عنه ثم كتب الى عبيد الله بن زياد يخبره بنزول الحسين بأرض كربلاء فكتب ابن زياد الى الحسين رضى الله عنه أما بعد يا حسين فقد بلغني نزولك بكربلاء وقد كتب اليّ يزيد ابن معاوية ان لا أتوسد بالوثير ولا أتمتع بالخمير الا أن ألحقك باللطيف الخبير أو ترجع الى حكمي وحكم يزيد بن معاوية والسلام فلما قرأ الكتاب رمى به بين يديه وقال لا أفلح قوم اشتروا مرضاة الخلق بسخط الخالق فقال له الرسول يا أبا عبد الله هات الجواب فقال ماله عندي جواب لانه قد حقت عليه كلمة العذاب فرجع الرسول فأخبر ابن زياد فغضب غضباً شديداً ثم جمع أصحابه فقال أيها الناس من منكم يتولى قتال الحسين بولاية الري فلم يجبه أحد فالتفت الى عمر بن سعد فقال أريد ان تخرج الى قتاله وقد كان ولاه الري فاذا نحن فرغنا من عمله سرت الى عملك ان شاء الله تعالى فقال له عمر ابن سعد ايها الامير أسألك ان تعفيني من قتاله منعما علي بذلك فقال له ابن زياد قد أعفيناك فاردد الينا عهدنا الذي كتبناه لك واجلس في منزلك حتى نبعث غيرك فقال عمر أمهلني اليوم حتى انظر في امري فانصرف عمر الى منزله وجعل يستشير اخوانه فما اشار اليه احد بذلك وكلهم يقولون اتق الله ولا تفعل فقال له حمزة بن المغيرة بن شعبة والله لأن تخرج من دنياك ومالك وسلطان الارض كلها لكان خيراً لك من ان تلقى الله الملك الجبار بدم الحسين ولد فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشرب عمر في قلبه من ولاية الري ما أشرب

فلما اصبح ذهب اليه وأبى ان يرد العهد وأنشأ يقول

أأترك ملك الري والري رغبة * أم ارجع مذموماً بقتل حسين

وقبل القتال وأجابه الى الخروج فخرج في اربعة آلاف وسار اليه الحر بن يزيد في الف فارس . ثم دعا برجل من أصحابه وأرسله الى الحسين ثم ذكر القصة الى آخرها وجاء الليل فبات الحسين رضي الله عنه راكعاً ساجداً وباكياً ومستغفراً وأصحابه كذلك لهم دوي كدوي النحل فلما كان وقت السحر خفق الحسين رضي الله عنه برأسه ثم استيقظ وقال لهم تعلمون ما رأيت في منامي الساعة رأيت كأن كلاباً قد شدت عليّ تنهشني وفيها كلب أبقع رأيته اشدها عليّ واظن أن الذي يتولى قتلي رجل أبرص من هؤلاء القوم ثم اني رأيت بعد ذلك جدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه جماعة من أصحابه وهو يقول يابني أنت شهيد آل محمد صلى الله عليه وسلم وقد استبشر بك اهل السموات واهل الصفيح الاعلى فليكن افطارك عندي الليلة عجل ولا تؤخر فهذا ملك قد نزل من السماء ليأخذ دمك في قارورة خضراء فهذا ما رأيت وقد أزف الامر واقترب الرحيل من هذه الدنيا لا أشك في هذا وأصبح الحسين رضي الله عنه يصلي بأصحابه ثم استوى على فرسه وتوجه نحو القوم في نفر من أصحابه وبين يديه يزيد بن الحصين فقال له الحسين رضي الله عنه كلم القوم واحتج عليهم فتقدم يزيد حتى وقف قريبا من القوم فقال لهم ياهؤلاء القوم اتقوا الله فان أهل بيت محمد صلى الله عليه وسلم قد أصبحوا بين اظهركم هؤلاء ذريته وعترته وبناته وحرمه فهاتوا الذي عندكم وما الذي تريدون ان تصنعوا بهم فقالوا نريد أن نمكن منهم الامير عبيدالله بن زياد فيرى رأيه فيهم فقال لهم ابن حصين اولا ترضون منهم أن يرجعوا الى المكان الذي أقبلوا منه ويلكم يا اهل الكوفة انسيتم كتبكم اليهم وعهودكم لهم وقد فعلتم بهم ما فعلتم ومنعتموهم ماء الفرات

وهو مبذول لجميع خلق الله يشرب منه اليهود والنصارى والمجوس والكلاب والقردة والخنازير فبئس ما خلفتم محمداً صلى الله عليه وسلم في أهل بيته ما لكم لا سقاكم الله يوم القيامة فبئس القوم أنتم فقال الحسين رضي الله عنه هذه سهام رسل الموت اليكم فقوموا يرحمكم الله الى الموت الذي لا بد منه فوثبوا وخرجوا وهم اثنان وثمانون رجلا والقوم اثنان وعشرون الفاً يزيدون أو ينقصون فاقتتلوا ساعة من النهار حتى بقي الحسين في نفر يسير فعندها ضرب الحسين رضي الله عنه يده الى لحيته وهو يقول اشتد غضب الله على النصارى اذ جعلوا لله ولدا واشتد غضب الله على اليهود اذ جعلوا لله ولدا واشتد غضب الله على المجوس اذ عبدوا النار والشمس والقمر من دون الله واشتد غضب الله على قوم اتفقت آراؤهم على قتل ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم نبيهم والله لا أجيبهم الى شيء مما يريدون أبداً حتى ألقي الله وانا مخضب بدمي ثم صاح أما من مغيث يغيثنا لوجه الله أما من ذاب يذب عن حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا بالحر بن يزيد الرياحي قد أقبل يركض حتى وقف بين يدي الحسين رضي الله عنه فقال يا ابن رسول الله اني كنت أول من خرج عليك فأذن لي أن أكون أول مقتول بين يديك فلعلي اكون أول من يتقدم ويصافح جدك محمدا صلى الله عليه وسلم يوم القيامة فكان أول من تقدم الى مبارزة القوم فلم يزل يقاتل حتى عرقب فرسه فبقي راجلا فجعل يقاتل وهو يرتجز حتى قتل رحمه الله ثم برز من بعده يزيد بن الحصين الهمداني فقاتل قتالا شديدا وهو يقول اقتربوا مني يا قتلة أمير المؤمنين • اقتربوا مني يا قتلة أولاد رسول الله صلى الله عليه وسلم وذريته الباقين • فحمل عليه رجل فقتله رحمه الله ثم خرج جعفر بن عقيل ثم عبد الله بن مسلم بن عقيل ثم عبد الرحمن بن عقيل ثم محمد بن عبد الله ثم جعفر ثم أخوه عون بن عبد الله بن جعفر ابن أبي طالب فعندها صاح الحسين رضي الله عنه

صبراً يا بنى عمومتي صبرا ياأهل بيتي فوالله ما رأيتم هواناً بعد هذا اليوم ابداً ثم تقدم اخوة الحسين عازمين علي الموت فأول من تقدممنهم ابو بكر بن علي واسمه عبدالله وأمه ليلى بنت مسعود التميمية فقاتل حتى قتل ثم تقدم علي بن الحسين وهو يومئذ ابن ثمان عشرة سنة فرفع الحسين رضى الله عنه شيبته نحو السماء وقال اللهم اشهدعلى هؤلاء القوم وقد برز اليهم غلام أشبه الناس خلقاً وخلقاً ومنطقاً برسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم امنع عنهم قطر السماء وامنعهم بركات الارض وفرقهم فرقا ومزقهم ممزقا واجعلهم طرائق قددا فلا ترضى الولاة عنهم أبدا فانهم دعونا لينصرونا ثم عدوا علينا يقاتلوننا ويقتلوننا ثم صاح بعمر بن سعد وقال مالك قطع الله رحمك ولا بارك لك في أمرك وسلط عليك بعدي من يذبحك على فراشك كما قطعت رحمي ولم تحفظ قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقدم علي بن الحسين فلم يزل يقاتل حتى ضج أهل الشام من كثرة من قتل منهم ثم رجع الى ابيه وقد أصابته جروح كثيرة فقال له يا أبت العطش قد قتلني وثقل الحديد قدأ جهدني فهل الى شربة من ماء سبيل فبكي الحسين رضي الله عنه ثم قال قاتل قليلا فما أسرع أن تلقى جدك محمدا صلى الله عليه وسلم يسقيك بكاسه الأوفى فرجع علي بن الحسين رضي الله عنهما الى الحرب فلم يزل يقاتل حتى قتل رضي الله عنهما فبقي الحسين رضي الله عنه فرداً وحيداً ليس معه ثان الا ابنه على وهو ابن سبع سنين وله ابن آخر في الرضاع يقال له علي فتقدم الى باب الخيمة فقال ناولوني ذلك الطفل حتى أودعه فناولوه الصبي وهو يقول يا بني ويل لهؤلاء اذا كان خصمهم جدك محمد صلى الله عليه وسلم فاذا سهم قد أقبل حتى ارتكز في لبة الصبي فسقط ونزل الحسين رضي الله عنه عن فرسه وتقدم حتى وافى القوم ثم انه دعاهم الى البراز فلم يزل يقتل كل من برز اليه من عيون العسكر

حتى قتل منهم مقتلة عظيمة قال فتقدم اليه شمر بن أبي الجوشن في قبيلة عظيمة فقاتلهم الحسين رضي الله بأجمعهم وقاتلوه حتى حالوا بينه وبين رحله فجعل يحمل عليهم ويحملون عليه وهو في ذلك يطلب الماء يشرب منه شربة فلما حمل بفرسه على الفرات حملوا عليه حتى أخلوا عنه ثم رماه رجل من القوم بسهم فارتكز في جبهته فنزعه وسالت الدماء على وجهه ولحيته ثم حمل عليهم كالليث الغضوب فلم يدرك أحداً منهم الا لجمه بسيفه لجمة خذله بها على الحضيض والسهام تأخذه من كل ناحية وهو يتقيها بنحره وصدره ثم حملوا عليه من كل جانب فضربه رجل ضربة على يده اليسرى وضربه آخر على حبل عاتقه من ورائه ضربة منكرة ورماه آخر بسهم فوقع السهم في نحره وطعنه آخر على خاصرته فعندها سقط الحسين رضي الله عنه عن فرسه على الارض فقال عمر بن سعد انزلوا وحزوا رأسه فنزل الشمر اللعين لعنة الله على القاتل والآمر والراضي به فضربه برجله وألقاه على قفاه ثم أخذ لحيته فجزر أسه وأخذ سيفه وتركوا قميصه وسراويله رضي الله عنه وألحقنا به وتوجه الفرس نحو خيمة النساء تركض اليها وهي تصهل فلما نظرت اليها أخوات الحسين رضي الله عنهن وبناته واهله وولده ليس عليها أحد رفعن أصواتهن بالصراخ واقبل القوم لعنهم الله حتى أحدقوا بالخيمة وسلبوا زينتهن وحليهن وثيابهن واضرموا الخيمة بالنار وبعث عمر بن سعد بالرأس الى عبيد الله بن زياد فجاء بالرأس رجل اسمه بشير بن مالك حتى وضع الرأس بين يديه وهو يقول

املأ ركابي فضة وذهبا * اني قتلت الملك المحجبا
قتلت خير الناس أماً وأبا * وخير من صلى وصام منصبا
وخيرهم اذ يذكرون النسبا

فغضب عبيد الله بن زياد من قوله وقال اذا علمت انه كذلك فلم قتلته

والله لا نلت مني خيرا ولألحقنك به ثم قدمه وضرب عنقه . ثم ساقوا أولاده كما تساق الاسارى حتى اذا أبلغوهم الى الكوفة برز الناس فجعلوا ينظرون اليهم ويبكون وينوحون وعلي بن الحسين رضي الله عنهما فى ذلك الوقت كان كثير العلة فكان يقول ألا ان هؤلاء يبكون وينوحون من أجلنا أنصفنا يا ألله ممن ظلمنا وبغى علينا ﴿ وقيل ﴾ لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيمة أم معبد ومعه أصحابه وكان من أمره في الشاة ماقد عرفه الناس قال في الخيمة هو وأصحابه حتى أبرد وكان يوما قائظاً شديد الحر فلما قام من قيلولته دعا بماء فغسل يديه وألقاه ثم مضمض فاه ومجه على عوسجة كانت الى جنب خيمة أم معبد ثلاث مرات وذكرت وضوءه الى أن قالت فلما كان من الغد أصبحنا وقد علت العوسجة حتى صارت كاعظم دوحة عادية ونمت وخضد الله شوكها وقويت عروقها واخضر ساقها وورقها ثم أثمرت بعد ذلك وأينعت بثمر كاعظم مايكون من الكمأة على لون الورس المسحوق ورائحة العنبر وطعم الشهد والله ما أكل منها جائع الا شبع ولا ظمآن الا روى ولا سقيم الا برئ ولا ذوحاجة وفاقة الا استغنى ولا أكل من ورقها بعير ولا ناقة الا سمن منذ يوم نزل وأخصبت بلادنا وأمرعت وكانت تسمى الشجرة المباركة ويؤمها الكثير من أهل البوادي ويستسقون بها ويتزودون من ورقها في الاسفار ويحملونه معهم في الاراضي القفار فيقوم لهم مقام الطعام والشراب فلم نزل كذلك حتى أصبحنا ذات يوم وقد تساقط ثمرها واصفر ورقها فاحزننا ذلك وفزعنا له فما كان الا قليل حتى جاءنا نعى رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا هو قد قبض في ذلك اليوم وكانت بعد تثمر ثمراً دون ذلك الثمر في العظم والرائحة والطعم واقامت على ذلك ثلاثين سنة فلما كانت ذات يوم أصبحت واذا بها قد شاكت من أولها الى آخرها وذهبت نضارة عيدانها

وتساقط جميع ثمرها فما كان الا يسير حتى وافى مقتل علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه فما أثمرت بعد ذلك لاقليلا ولا كثيراً وانقطع ثمرها فلم نزل نحن ومن حولنا ومن وراءنا نداوي مرضانا بها ونستشفي بها فاقامت على ذلك مدة طويلة ثم أصبحنا يوما وقد انبعث من ساقها دم عبيط حتى جاوز ورقها وصار يقطر ماء كماء اللحم فعلمنا أنه قد حدث حادث عظيم فبينا نحن فزعون مهمومون نتوقع الداهية حتى أظلم الليل اذ سمعنا بكاء وعويلا من تحتها وجلبة شديدة ورجة وسمعنا صوت باكية تقول يابن النبي ويابن الوصي ويابن البتول ويابقية السادة الاكرمين ثم كثرت الرنة والاصوات فلم نفهم مايقولون فأتانا بعد ذلك قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما ويبست الشجرة وجفت فكسرتها الرياح والامطار بعد ذلك وذهبت واندرس ورقها . وقد روي باسناد صحيح انه سمع من قول جنية في تلك الليلة

يابن الشهيد وياشهيداً عمه * خير العمومة جعفر الطيار
عجبا لمقتول أصابك حده * في الوجه منك وقد علاه غبار

وقال دعبل في قصيدته

زر خير قبر بالعراق يزار * واعص الحمار فمن نهاك حمار
ولك المودة في قلوب ذوي النهى * وعلى عدوك مقتة ودمار
يابن الشهيد وياشهيداً عمه * خير العمومة جعفر الطيار

﴿وباسناد عنهم﴾ لما قتل الحسين بن علي رضى الله عنهما جاء غراب فتمرغ في دمه ثم طار فوقع في المدينة على جدار فاطمة بنت الحسين بن علي رضى الله عنهما وهى الصغرى فرفعت رأسها ونظرت اليه وبكت بكاء شديداً وأنشأت تقول

نعق الغراب فقلت من * تنعاه ويلك ياغراب

قال الامام فقلت من * قال الموفق للصواب
قلت الحسين فقال لي * حقا لقد سكن التراب
ان الحسين بكربلا * بين الاسنة والضراب
أبكى الحسين بعبرة * ترضى الاله مع الدواب
ثم استقال به الجنا * ح فلم يطق رد الجواب
فبكيت مما حل بي * بعد الوصي المستجاب

(قال) فنعته لاهل المدينة فقالوا قدجاءتنا بسحر فما كان أسرع ماجاءهم الخبر بقتل الحسين رضي الله عنه (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ياعلي ان موسى بن عمران صلوات الله وسلامه عليه سأل ربه فقال يارب ان أخي هارون مات فاغفر له فأوحى الله تعالى اليه ياموسى لو سألتني في الاولين والآخرين لأجبتك اليه ماخلا قاتل الحسين ابن علي فاني أنتقم من قاتله . والله أعلم بالصواب . واليه المرجع والمآب . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين

حمداً لمن أطلع في سماء المعارف شمس البيان . وأنطق مصاقع الخطباء بلطائف التبيان . وأطلق ألسنة الحكماء من قيود الفهاهة والعيّ . وأجرى يراع البلغاء بما يشرح صدر كل أديب ألمعيّ . وصلاة وسلاماً على عنصر الاصطفاء الأعلى الذي لم يصل الى حد غايته سواه . وصفوة حضرة ذي الجلال الاسنى الذي غاب عن غير من اصطفاه كنه معناه . سيدنا ومولانا محمد منبع الكمال والجود . المخصوص بجوامع الكلم من بين من دخل تحت دائرة الوجود . وعلى آله مصابيح الهدى . وأصحابه أنجم الاهتدا . ماشدا قمري على الغصون . وغردت بلابل الافراح فتسلي به كل محزون .

﴿ أما بعد ﴾ فقد تم بمعونة ذي المنة والطول . وتوفيق من لامنة الا به ولا حول . طبع هذا الكتاب البديع الفائق الميمون . بل عقد الدر الباهر النضيد والجوهر المصون . المسمى طبقا لمعناه (بالمخزون . فى تسلية المحزون) لاحد أفاضل الادباء من صالحى السلف . التاركين من الآثار العلمية ما أجرى لهم الثناء العاطر علي ألسنة الخلف . على نفقة حضرة الاستاذ العالم الفاضل الشيخ محمد العتر الدمياطي وقد اعتنى بتصحيحه وتنقيحه حضرة الفاضل الشيخ على الهواري غفر الله لهما والمسلمين وطبع بمطبعة النيل بجوار الكتبخانه الخديويه بمصر المحمية سنة ١٣٢١ هجرية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكي التحية